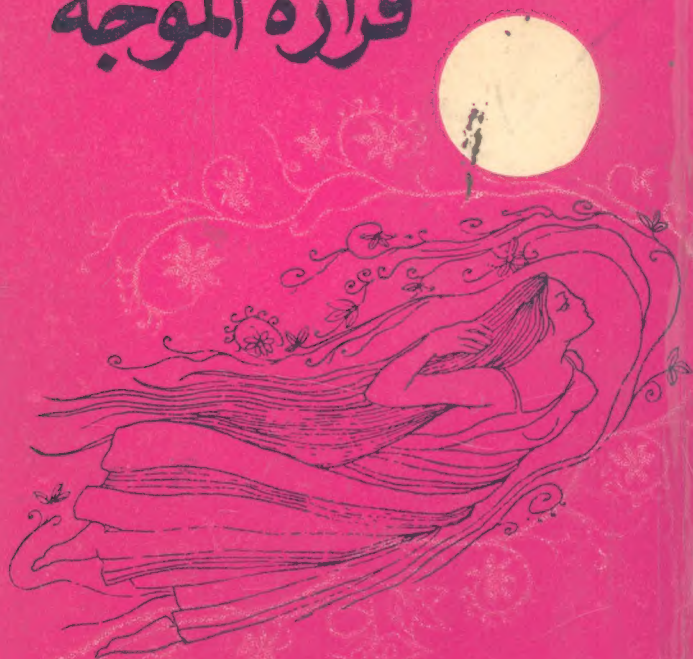


قراءة الموجة



نازل الملائكة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

الفلاف والرسوم : محمد قطب

نازل الملائكة

قراءة مطوية

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمعاصرة

إمّا أمّى ..
أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها
نازله

تقدمة



كنت قد كتبت هذا الحوار التحليلي عام ١٩٥٧ لأجعله مقدمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة) . وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧-١٩٥٣) والفترة التي كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديوانى الرابع (شجرة القمر) . ومن عادنى ألاّ أنشر إنتاجى الشعرى إلا بعد مرور الزمن عاياه ، ليكون حكمى عليه أصوب ، وذلك سرّ الفروق الزمنية التي تقوم بين شخصيتى الفكرية فى (قرارة الموجة) وشخصيتى الجديدة عام ١٩٥٧ ولذلك سمّيت بطلّة قرارة الموجة ؛ (الأولى) وبطلّة عام ١٩٥٧ ؛ (الثانية) فشخصت بذلك الفروق

بين ذهنيهما . وقد عدلت يومها عن نشر هذه المقدمة لأترك للقراء فرصة يدرسون فيها القصائد بمعزل عن تحليلاتي ، أما الآن وأنا أقدم للطبعة الثالثة ، فلا أرى مانعاً من نشر الحوار لما يلقيه من أضواء كاشفة على هذا الشعر قد تساعد الناقد في فهم وجهة نظري الفلسفية وتطوري الذهني بين الفترتين .

ن . م

البصرة

في ٢٣-١٢-١٩٦٧



الثانية : انهم يسألوننى عنك ، أيتها الصديقة القديمة ، ويريدون ان يعرفوا لماذا سمّيته « قرارة الموجة » .

الأولى : (فى خفة) أو ليس فى وسعك أن تردى عليهم ؟

الثانية : (دون مبالاة) بلى . لست أنكر أن عندى معلومات

كثيرة عن هذه القصائد ، وفى وسعى أن أحدث طويلاً عن

كل واحدة منها . ولكنى — والحق يقال — لا أحسّ

برابطة تربطنى بها أو بك . هذه القصائد قد نظمت منذ

سنين ولم تعد تعينى . اتريدين أن أقف منها موقف الناقد ؟

الأولى : أنت ؟ بمقاييسك الى لا أقرّها ؟

الثانية : ماذا فى وسعى اذن ؟ لقد سألتك ان تتحدث أنت إليهم

عن نفسك فأبيت .

الأولى : إنك ترفضين ان أقولَ ما أريد ، وتصرين على أن أقول ما تريدن أنتِ ، مع أنى أنا التى كتبت هذا الشعر لا أنتِ .
الثانية : فلنترض انى أذنت لك بالكلام .

الأولى : (ساخرة) كرمٌ عظيمٌ منك . انى احبّ أن أحدثهم عن « الموجة » ، عن النقطة العليا التى أسميتها القمة ، والنقطة السفلى أو « القرارة » . القمة التى تصلها الموجة وماؤها مندفع الى أعلى ، والقرارة التى تصل إليها حين تستجمّ حركة الاندفاع المتوتر .

الثانية : يا أخى ! أما كان الأفضل ان تنشرى لهم الشعر الذى نظمته وانت فى قمة الموجة ؟ أنتِ تدرين أنهم يهتمونك بالتشاور .

الأولى : (فى ازدراء) القمة ؟ لا شىء على القمة إطلاقاً . انى اكتب قصائد باردة حين أبلغها . وما القمة بعد ؟ انها بداية الانحدار . أما القرارة فليست الا الاستجمام الذى ينطوى على بذرة التحفّز الى الانبثاق الحارّ والصعود الى القمة التالية .

الثانية : سيقولون حين يسمعونك : ما قيمة الصعود ان كانت القمّة نفسها باردة ؟

الأولى : مهما يكن فإنّ عنواني « قرارة الموجة » متفائل .

الثانية : هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) ان لم أخطيء .

الأولى : كلاً . ان الشظايا قمّة عالية حقاً ، ولكنّ الرماد هو النهاية التي لا حياة بعدها . أما الموجة فهي لا تركد أبداً ، والنقطة السفلى فيها ليست الا القفزة الجديدة نحو القمّة . وهكذا ترين ان (قرارة الموجة) يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لانهاية لها ، واذا كان هذا الشعر قد نظم في منحدر الموجة فانها محض صدقة لا اكثر .

الثانية : آمناً . ولكنني احبّ ان أعترض على شيء ان سمحتِ .

الأولى : (في ضيق) كما تشائين .

الثانية : اني احبّ ان أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) الى (طريق العودة) فما رأيك .

الأولى : فكرة ذات إمكانيات . أتعلمين انّ هذا قد خطر لي انا

نفسى مراراً ؟ ان قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة
وأنا أعدّها مفتاح الفلسفة التى قامت عايتها حياى .

الثانية : اتفقنا اذن . فلنسمّه (طريق العودة)

الأولى : كلا . ليس فى وسعى ان أوافق . انّ القراء سيظنون العنوان
غواية لا أكثر . سيحسبون أنّى لم أجده عنواناً يلخص
عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت الى تسميته باسم احدى
القصائد : الواحدة الاثيرة الى قلبى .

الثانية : وماذا لو ظنّوا هذا ؟ إن ديوان شعريّ ما ليس عملاً موحداً
بحيث يجب ان يلخصه العنوان .

الأولى : هذا مالا أوافق عليه . ان العنوان ليس الا مرآة صغيرة
تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر ، ولا بدّ لكل
فترة فى حياة الشاعر الحقّ فى اتجاه مميز . انه شىء قائم .
وهو يحتم العنوان .

الثانية : رأى متعت . انتِ جدية أكثر مما ينبغى . وبعد فان
عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لا يمثل القصائد كلها .
انّ فى هذه المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة .

الأولى : هذا حقّ ، وأنتِ المسئولة . لقد حذفَ نصفَ قصائد
هذا الديوان . أنكرى هذا .

الثانية : انّى لا انكر . هذه القصائد لم تعد تروقى وقد حذفها .
الأولى : ولكنها مقاييسك أنتِ ، انت الى لم تنظم هذه القصائد .
وليس من حقك ان تتحكمى فى شعرى أنا . امامك
ديوانك انتِ فاحذفى منه ما تشائين .

الثانية : الا يبلو ان فتاةً أخرى هى التى مستحكم فى شعرى أنا ؟
واحدة لا أعرفها الآن ، ستنبع من المستقبل وتواجهنى
ولن يروقها شعرى . أغنيتى هذه الأخيرة التى تنتفض
فيها الوردة الحمراء وتتفجر الدموع المخنثة فيها ... هذه
الاغنية التى أراها أنا أجمل ما يمكن ان أنظم ، يجوز أنها
لن تسمح لى بنشرها كما أصنع انا بقصائلك .

الأولى : (كأنها لا تصغى) حقاً ماذا أبقيت من (قرارة المروجة) ؟
الثانية : يكتفى ما أبقيت منه . ان القارىء سيألف الفلسفة . ألا يكتفى
انك ملأت بها (لعة الزمن) و (الشخص الثانى)
و (سخرية الرماد) و (يحكى أن حفارين) و (صلاة

الاشباح) ؟ لا بل ألا تكفيك قصيدة (طريق العودة)

هذه القصيدة التي تولعين بها ؟

الأول : انتها تلخصني .

الثانية : طبعاً تلخصك . ولهذا أراني لا أنسجم معك . اني أحب

طريق العودة ولا أستسيغ كرهك له وثورتك عليه .

اسمعي ما تقولين .

لماذا نعود ؟

أليس هناك مكان وراء الوجود ؟

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصول ؟

الأول : (في لمجة حلقة) حقاً ، لماذا نعود ؟ ان طريق الرواح

مملوء بالحياة والجمال دائماً . وما نكاد نقرّر الرجوع حتى

يركد كل شيء ، وتلوح الاشياء جامدة مملّة . طريق

الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرّة فتراها بلهفة تحقّق

ما فيها من معائب ، بينما يقدمها لنا طريق العودة وقد

فقدت جديتها .

الثانية : واأسفاه . أنتِ اذنِ تؤمنين أن آمالنا هي دائماً أجمل من
تحققها . أترى الكأس أعذب حين لا نملكها ؟ أنصبح
بلا طعمٍ اذا نحن بلغناها وتناولناها ؟

الأولى : (ما زالت تحلم) تماماً . انتِ تلخصين فكرتي التي جاءت
في قصيدة (وجوه ومرايا) في شظايا ورماد حيث قلت :
كيف حين استلمت كأسى أرسلـ

ت دموعي ولم يُقدني ارتواءُ

الثانية : وهذه عين صرختك في قصيدة (الزائر الذي لم يجيء) في
هذا الديوان :

ولو كنتَ جئتَ

اما كنتَ تصبح كالخاضرينَ وكان المساءُ

يمرّ ونحن نقلب أعيننا حائرين

الأولى : صرختي طبعاً . وأنا أحبها . ان مجيء زائري المنتظر ليس
الاقعة الموجهة ، وتحقيقه ينلر بالمنحدر .

الثانية : انك يا صديقتي لاتقوين على التحديق فى الأشياء خوفا من أن
يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى . أليس هذا
هو السرّ فى قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق
وألححتِ عليه ؟ اسمعى ابياتك :

وما زال وجهك مثل الظلام ، له الف معنى

وقد يعتريه جمود الصنم

إذا رفع الليل كفيه عنا

هكذا تحاولين ان تهربى من التحديق فى الاشياء، وتؤثرين
ان تستبقي على عينيك غشاوة نحجب عنك كل شيء .
انك تكرهين ان تبلغى القمة لئلا يلوح لك المنحدر .
وتمتتين ان تصلى الى نهاية الطريق لئلا تضطرى الى الرجوع .
وتحبّين ... ماذا تحبّين أنتِ ؟ انك بكلمة واحدة لاتحبين
الوصول الى أى مكان .

الأولى : وما قيمة الوصول الى مكان ؟ انظرى الى الوصول الذى
حققته فى قصيدتى (وجوه ومرايا) .

الثانية : (ساخرة) اوه ... قصيدتك تلك ... حيث تحطمين

المرأة ؟ اتذكرين لماذا حطمت المرأة ؟

الأولى : طبعاً . لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه . كان ينبغي أن أنظم

قصيدة سعيدة ، وقد توقعوا جميعاً ان أفعل .

الثانية : وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء) . لماذا ؟ لقد

أدركت انك وصلت . وبدلاً من ان تسعدي بالقمة

ذهبت الى المرأة تبحثين فيها عما سميت به ذاتك التي

لا تلمس . . قولي لي حقاً لماذا حطمت المرأة ؟ إنك

لم تقولي هذا لأحد قط ؟

الأولى : لم اقله لأحد ، ولن اغوله الآن .

الثانية : لا داعي لأن تقولي بعد . اولا أعرف كل شيء عنك ؟

انت لا تحبين الوصول والتمحقق ، وقد أخافك وجهك في

المرأة لان ظل القمة كان منعكساً عليه .

الأولى : وما ظل القمة في اعتباراتك ؟

الثانية : السعادة يا فتاة .

الأولى : انت لا تفهميني على كل حال .

الثانية : مهما يكن - لقد ألقىت بالمرأة على الأرض وحطمتها
لتهربى من القمة التى تخيفُك : الوصول .

الأولى : وهنا كانت السخرية . لقد بات وجهى منعكساً على كل
شظية من شظايا المرأة . لقد تعددت وتجزأت نفسى .
ان هذا هو ما اكرهه .

الثانية : لآنك تكرهين الوصول وحسب . انك لم تطيق ان تصلى
مرة ، وعندما تحطمت المرأة تعددت وصولُك فلم تطيق
الموقف .

الأولى : وماذا كان سيقع لى بعد ذلك ؟ بعد الوصول ؟ الانحدار
الى القرارة .

الثانية : وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة ان لم تقررى النزول
الى القرارة ؟ كيف تنعمين بطريق الرواح ان كنتِ
لاتطيقين طريق العودة ؟ قفى اذن حيث انتِ يا صغيرتى
وأغمضى عينيكِ ، أغمضيهما بسرعة لئلا يشرق الضوء -
أو يلوح لك القمر وهو يسخر منك كما تصفيه فى (سخرية
الرماد) .

الأولى : أنتِ تحيين الجندل .

الثانية : ربما . ولكنى أجادل ظلاً هذه المرة . وبعد فمن أنتِ ؟
طيفٌ من الماضى . شئٌ كان ولم يعد له وجود .

الأولى : انى اقوى منكِ مع ذلك . انظرى كيف تنتجين لى
وتدعيننى أعيش على الورق ، بينما تلوذين انتِ بالصمتِ
التام .

الثانية : أنتِ تغلين ؟ سرعان ماستهيين فى المقاومة وتهرين .
انك تنسين الاشياء بسرعة ، ولا تحيين الثبات على أى شئ .
انك تبندعين الأساليب لكى تغيرى أى طريق تسيرين فيه .
ان الزمن يلحرك فى كل مناسبة .

الأولى : (تنفض فى شبه خوف) الزمن ؟

الثانية : انظرى كيف افرعتك الكلمة ؟

الأولى : انى لا اخاف الزمن . انى أسامه وحسب . ولعلى أتعب
من مصاحبة أفكارى .

الثانية : ان «قرارة الموجه» افصح منكِ فى الحديث واكثر صراحة .

انظرى الى قصيدة (لعنة الزمن) . انك ترمزين لزمن
بالسمكة الميتة التى كانت طاافية على سطح النهر ذات

غروب خلال نصف ساعة متأمة قضائها الصديق.
الاذان تتناول القصيدة قصتهما .

الأولى : طبعاً يكون لازمن تأثيره . انظرى الى الظروف التى
فيها .

الثانية : ما هما ؟ لقد أعطيتهما فى أول القصيدة خير ظروف
طبيعة ملاطفة ، وغروب وديع يفرش ألوانه فى
الحبين اللذين يحاولان إحياء ماضٍ قد انطوى ويبدل
منهما جهداً مخلصاً فى هذا الاتجاه . وقد نجح الغروب
فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان . ولكنك ،
ما أنتِ تدخلت فوضعت السمكة الميتة فى الطريق .

الأولى : (تبسم) انا وضعتها ؟ إنها كانت طافية على
اضعتها أنا هناك ؟

الثانية : انها كانت مجرد سمكة ميتة ، وكان فى وسعها
كذلك لو لم تصرى انتِ على ان تكبر وتكبر .
الأولى : « فى احتجاج » انتِ تتكلمين وحسبُ . ان السمكة
بدأت تكبر فجأة .

نية : لانهما القيا بالهما اليها يا ساذجة .

ولى : « فى جهل مخلص » لقد قابلاها بالشفقة اولاً . ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التى نجحا فى تحقيقها اتريدى ان تقولى انهما كانا يستطيعان ان يقاوما الشعور بالانزعاج فى ان تطفو سمكة ميتة فى تلك اللحظة ؟

كأنية : ان الصديق قد رفض ان يلتقى بالله الى السمكة . الا نذكرين احتجاجه القوي على الفتاة فى بعض مقاطع القصيدة ؟

ولى : انه لم يكن خائفاً .

انية : طبعاً . هكذا بدأ . ولكنه سرعان ما خاف بتأثير الفتاة التى نسبت كل شيء وعلق بصرها بالسمكة فى رعب . اسمعى صرخاتها :

..... أى طريق

يحمينا من هذا المخلوق

لنعد . فالرب يضيق يضيق

والظلمة محكمة الإغلاق

أتمد راحتي كثير وساوسه وخاوفه حتى نجحت في زعز
ثقته ، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التي مضت .
التضخم حتى فصلت بينهما وسدت في وجهيهما الأرجا
قولي لي ، الست أنت التي وضعت بينهما هذه الجثة ؟
الأولى : لقد كانت الجثة موجودة ، ولا شأن لي أنا بها . كيف ك
يمكن إلا أخاف ؟

الثانية : ان السمكة في قصيدتك رمز للزمن اى الفراق بين الصديق
أليس كذلك ؟

الأولى : تماماً . إنى أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين الأصدقاء
يجعل من المستحيل ان يعودوا أصدقاء .

الثانية : أغرب عقيدة . ولماذا ؟ اذا سمحت بالسؤال .

الأولى : لأنهم لابد أن يكونوا قد تغيروا خلال ذلك ونمت في انفسه
ترسبات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثاني .

الثانية : ما هذا الزمن لتخافيه الى هذا الحد ؟ ان التغير مهما

عميقاً لا يبعد الانسان عن إنسانيته التي تبقى تجمعهم بالآخر
مهما كانت صفتهم . لكأنك تفترضين ان الناس أصلا
منفصلون ولا يجمعهم الا الاتصال . اما أنا فأؤمن

قيام الصلوات الودية بين أى انسانين فى الدنيا محتمل فى كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه .

أولى : رأيك هو الغريب . انى أقضى اشهرأ طويلة أحياناً قبل ان احسّ بشىء من الانسجام مع انسان أراه كل يوم .

ثانية : يسرّنى يا اختاه انك محض ظل الآن . وخيرٌ لك ان تعودى الى قوقعة التاريخ التى استدعيتكِ منها وانا أهىء (قرارة الموجة) للمطبعة :

أولى : انى لا أطبقكُكِ . انتِ الشخص الثانى الذى اسخر منه فى قصيدتى .

ثانية : ها ، قصيدتك (الشخص الثانى) . كنت على وشك ان أنساها وهى دليل حى على ربعك من الزمن الذى يلوح فيها شيطاناً خبيثاً .

أولى : انتِ الشخص الثانى .

ثانية : رائع . ان هذا يناسبنى وانا راضية . التحسين ان الناس يخلون من ان يكون فيهم شخص ثانٍ ؟

أولى : ماذا يفعلك هذا ؟

الثانية : انّ في وسعي ان اصافح هذا الشخص الثاني يا صديقه
انه اقرب الىّ منك .

الأولى : ان الشخص الثاني : بارد ، هازئ ، بلا مشاعر .
الثانية : هكذا تربته لانيك الشخص الأول دائماً . لقد اردد
تتغيرى قط ، وكأنك صغتِ نفسكِ وفق قالب نموذ
وعندما عدتِ من الولايات المتحدة عام ١٩٥١
ان انساناً جديداً قد ولد وترعرع ، في داخل كل
عرفته في أرض الوطن . قولى لى هذا وحسبُ :
لم تفترضى ان انساناً جديداً قد ولد فيك انت
خلال أسفارك في اقطار الدنيا ؟ لماذا لم يخطر لك
انت الشخص الثاني ؟

الأولى : معاذ الله . انى لست الشخص الثاني وكفى !
الثانية : لم أقل لك انك تلقين بالاك الى الزمن اكثر مما ينبغي !
الشخص الثاني هو عين السمكة الميتة ؟
الأولى : هو نفسه .

الثانية : هل تصافحيني ؟

الأولى : انى لا أحبك

الثانية : شأنك إذن

الأولى : اقد آن لى ان اعود الى قوقتى كما تسمينها ولا أظننا
سنلتقى ثانية .

الثانية : أما أنا فان نفسى الجديدة تنتظرني فى مكانٍ ما من المستقبل
القريب . وسأذهب للقائها .

الأولى : ارجو الا يطول بحثك عنها .

الثانية : مهما طال ، فلا بدّ لى من الوصول ، وسأجدها فى النهاية
واصافحها . وداعاً يا رفيقة .

الأولى : (لا تردّ ، تخفى وراء الضباب)

٢١-٢-١٩٥٧

تازك الملائكة

أول الطريق

لنلتقِ ، فالريح تعصف والمُنحنى لا يعي
وغممةُ المساجسِ المتهدّدةِ في مسمعى
وهذا الطريق الذى سلبته خُطى السكون
غريبٌ مخيفٌ المعابرِ يُشبه لونَ المنُونِ
أحسّ السرابُ
وراء الهضابُ

والنمس فى لونه مصترعى
وأنتَ بعيدٌ وراء الظنونِ



لنلتقِ ، ... إلى أخاف المساء الغريقَ الضياءُ
أرى مارداً من أساى الممزقِ يطوى الفضاء
يُنْقَلْ أقدامه السُّودَ بين عُيُونِ السَّنا
ويُطْفئُها ، عدتْ أخشى أذاه على نجمنا
فعين الإله

غفتْ عن أذاه

وقد يستعير لhib البكاءُ
ويُغْمِله في ابتساماتنا



لنلتقِ ، ... ما أطولَ الإنتظارَ على الخائفين
لنلتقِ ، تحجبُنا فكرةٌ عن عيونِ السنينِ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيقِ
تمُدُّ يديَّها لترشدنا لِمكانٍ سحيقِ



وراء الجراح

ولسع الرياح

بعيداً وراء كهوف الأنين

هناك يبدأ كل طريق



هناك تبدأ الذكريات سجلاً جديداً

وتبدو حدود طريق يشق الفضاء المديد

إلى موضع في المدى المرتقى حجبتة الظلال

وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيال

سنجس فيه

إلى ألف تيه

سدى يتحرى الزمان البليد

خطانا فنحن وراء الموحال



سنحيا معاً في عوالم حافلة بالوعود
ونملك ليلاً يبيع النعاس وعطر الورود
سينبجس الماء حيث لمسنا أديم الثرى
ويرقص حول خطانا بأجنحة من شذى
سنمحو الزمان

وننسى المكان

هناك ونقسمُ ألا نعبود
إلى أمسنا المنطوى

سرّ بنا !

١٩٤٨/٤/٨

أَغْنِيَّة

اسْكُتِي يَا أَغْنَانِي الْأَمَلُ
فَالْهَوَى قَدْ رَحَلَ
وَانْطَوَى سِرَّهُ فِي مُقْتَلِ
رُصِفَتْ بِالْمَلَكَلِ

■

أَيْنَ أَيْنَ تَرَى تَذْهَبِينَ
فِي سَكُونِ السَّنِينَ
وَالطَّرِيقُ الَّذِي تَسْلُكِينَ
صَامِتٌ لَا يُبِينُ

●

ولمن تخلقينَ العُطُورُ
والليالي تدورُ ؟
ولمن دفؤكِ المسحورُ ؟
للدجى ؟ للقبورُ ؟

ولمن أنتِ والمستشردونَ
رحلوا في سكون ؟
والأسى ، يا أغاني ، ديونَ
دفعتها عيونَ

كم ملأنا بكِ الأقداحُ
وسقينَا الرياحُ
كم منحناكِ للأشباحُ
في رضا وسماحُ

فابْحَثِي فِي شِعَابِ الْوَجُودِ
عَنْ هَوَانِ الشَّرُودِ
كَفَنَّا نَدِيَّتْ بِالْوَعُودِ
وَهُوَ لَيْسَ يَعُودُ



دعوة إلى الأحلام

تعالَ لنحلمَ ، إنَّ المساءَ الجميلَ دنا
ولينُ الدُّجَى وخذودُ النُّجومِ تُنادِي بنا
تعالَ نصيدهُ الرُّوى ونعدُّ خيوطَ السَّنا
ونُشهدُ منحدَرَاتِ الرَّمالِ على حَبنا



سنمشي معاً فوق صدرِ جزيرتنا الساحله
ونُبتِقي على الرَّمْلِ آثارَ أقدامنا الشارده
ويأتى الصِّباحُ فيبُلِّقي بأنْدائه البسارده

وينبت حيث حَكَمْنَا ولو وردةً واحده



سنحلمُ أَنَا صعدنا نرود جبالَ القمرِ
ونمرُحُ في عُرْلةِ اللانهايةِ واللابشِرِ
بعيداً ، بعيداً ، إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكرُ
إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكرِ



سنحلمُ أَنَا استَحَكَمْنَا صبيتينِ فوقَ التلالِ
بريشينِ نركضُ فوقَ الصُّخُورِ ونرعى الجِمالِ
شريدتينِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخِ الخيالِ
وحينَ ننامَ نمرُغُ أجسامنا في الرمالِ



سنحلّم أنا نسير إلى الأَمْسِ لا للغدِ
وأنا وَصلنا إلى بابلِ ذاتِ فجرِ نسدِ
حييَّينِ نَحْمِلُ عهدَ هوانا إلى المَعْبُدِ
يُبَارِكُنَا كاهنُ بابلِ نقيُّ اليَدِ

١٩٤٨/٩/٢٨



الشَّهِيدُ

في دجَى الليلِ العميقِ
رأسُه النَّشْوَانُ الْقَوُّهُ هَشِيمَا
وأراقوا دَمَهُ الصَّافِي الْكَرِيمَا
فوقَ أَحْجِيَارِ الطَّرِيقِ

وعقاييلُ الجُرْعِمِ
جبلوا أعباءَهَا ظَهَرَ الْقَبْدَرُ
ثمَّ الْقَوُّهُ طَعَامًا لِلْخُفَرِ
وَمَتَاعًا وَغَنِيمَةً



وصباحاً دفنوهُ
وأهلوا حقدهم فوق ثراهُ
عارهمُ ظنوه لن يُبقي شذاهُ
ثم ساروا ونسوهُ



والليالى فى سرّاهِ
شهيدت ما كان من جهديّ ثقیلِ
كلّما غطّوا على ذكرى القتلِ
يتحدّاهم شذّاهِ



حسبوا الإعصارَ يُلَوّى
إن تحاموه بسترٍ أو جدارِ

ورأوا أن يُطفئوا ضوءَ النهارِ
غير أنَّ المجدَّ أقوى



ومن القبرِ المعطرِ
لم يزلْ مُنبعثاً صوتُ الشهيدِ
طيفه أثبت من جيشٍ عديدِ
جائهم لا يتقهَّرُ



وسيقى في ارتعاشِ
في أغانيها وفي صبرِ النخيلِ
في خُطَا أغنامنا في كلِّ ميلِ
من أراضينا العطاشِ



فليُجَنِّوا إن أرادوا
دونهم ... وليقتلوه ألفَ قتله

ففسداً تبعثه أمسواه دجله
وقرانا والحصاد



يا لَحْمَتِي أَغْيِيَاءُ
مَنْحُوهُ حِينَ أَرَدَوْهُ شَهِيداً
أَلْفَ عُمُرٍ ، وَشَبَاباً ، وَخُلُوداً ،
وَجَمالاً ، وَنَقَاءً



لأنسه عادَ نِيَّاباً
وهو قد أصبح ناراً تتحرَّقُ
في أمانينا وثأراً يتشوّقُ
وغداً يُبْعَثُ حَيّاً

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كان المغرب لونَ ذبيح
والأفقُ كآبةَ مجروح
والأشباحُ الغامضةُ اللونِ تجوس الظلمةَ في الآفاقِ
والنهرُ ظنونٌ سوداءُ
والريحُ مراوحُ نكراءُ
والضفةُ أرضٌ جرداءُ
تمضغُها الظلمةُ في استغراقِ
كانت خُطُواتِ الظلمةِ ترطمُ جِوَّ الشاطئِ في استغراقِ
والصمتُ يفكّرُ في الأحداقِ



كُنَّا نَتَّبِعُ نَعْشَ الضُّمُورِ
 وَنُرَاقِبُ خَطْوَ اللَّاشِئِ
 اِثْنَيْنِ يَلُوحُ عَلَى اسْتِغْرَاقِهِمَا الْمُبْتَهَمَ لَوْنُ الْعُشَاقِ
 كُنَّا نَرَقُبُ كَأْسَ الْأَفْسَقِ
 تَرْضَعُ مِنْ أَوْشَالِ الشَّقَقِ
 وَتَصُبُّ الْحُمُرَةَ فِي قَلْقِ
 فِي سَيْقَانٍ صَفَرِ الْأَوْرَاقِ
 فِي سَيْقَانٍ عَرَّتْهَا الرِّيحُ مِنَ الْأَلْوَانِ ، مِنَ الْأَوْرَاقِ
 وَمَضَتْ تَبْكِيهَا فِي إِشْفَاقِ

كُنَّا كَالْأَمْوَاجِ الْخَرَسِ
 فِي عَيْنَيْنَا لَوْنُ الشَّمْسِ
 فِي وَجْهَيْنَا الْوَقْرَيْنِ خَشُوعُ الْمَغْرِبِ وَالْأَبَدِ الْخَلَاقِ

كنا نهمس كالأنسدادِ
 كصدى مجذافٍ في الماءِ
 لم نقطع صمتَ الظلماءِ
 بمدامعِ ذكرى أو أشواقِ
 كنا قد كفتنا الماضي ودفننا اللفظةَ والأشواقِ
 في الظلمةِ في صمتِ الأعماقِ



وأراقَ المغربُ ألوانَه
 فوق الأشياءِ الوسنانه
 لم يبقَ بناءٌ لم تحمرَّ أعاليه ، لم يبقَ زقاقُ
 حتى في صُفرةِ خدينا
 حتى في وجْهنا قلبينا

أحسنا اليقظة والالونا
حتى في دمنا ، في الاعراق
أحسنا شيئاً كالثورة في الدم ، في الأعين ، في الأعراق
شيئاً كاللهفة ، كالأشواق



حتى طرُق الماضي الحريه
تلك الآفاق المكتشبه
لاحت واضحة الصمت يغازلها ضوء القمر المشتاق
لا فيها أشباح حيرى
تتبعنا غاضبة غيرى
ذات عيون تقطُر غدراً
في الليل ، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال ، ولا أنفاق
لا شيء سوى القمر البراق



وَهَجَسْنَا شَيْئاً مُنْفَعلاً
 فِي قَلْبَيْنَا ، شَيْئاً ثَمَلاً
 يَلْهَثُ عَاطِفَةً بَعْدَ جُمُودِ سَنِينَ مَرَّتْ فِي اسْتِغْرَاقٍ
 وَانْبَجَسَتْ أَشْوَاقُ وَسْنَى
 مِنْ أَعْيُنِنَا لَوْنًا ... لَوْنًا..
 وَتَحَرَّكَ فِي دَمْنَا مَعْنَى
 نَارِي الشُّوقِ صَدِ تَوَاقٍ
 وَسَدَى حَاولِنَا أَنْ نَسْكُتَهُ فَهُوَ صَدِ ، مَرِحٌ ، تَوَاقٍ
 وَسَدَى تَنْظُمُورِهِ فِي الْأَعْمَاقِ



وَوَقَفْنَا فِي الظُّلْمَةِ نَحْلُمُ
 بِالْمَوْجِ وَبِاللَّيْلِ الْمُبْهَمِ
 وَنَحْوِكَ مِنَ الْأَنْجُمِ وَالرُّؤْيَا وَالْأَمْوَاجِ لَنَا أَطْوَاقُ
 وَنَجُوبِ الْعَالَمِ فِي عَرَبَاتِ
 صَنَعْتَهَا أَزْرُعُ جَنِيَّاتِ

من عطرِ الأزهارِ الحجلاتِ
من أسلاكِ الضوءِ الألاقِ
في قعرِ النهرِ على أرضٍ لم يلمسها القمرُ الألاقِ
وتناست مولدها الآفاقِ



لكنّا اذ كنّا نخلُهم
أحرّسنا شبه صدّي مُبْهَهم
في الأمواجِ الداكنةِ الصمتِ ، سَمِعْنَا شبه صدّي خفاقِ
« الحنّياتُ المنتقماتُ
يصعدنَ إلينا في عربّساتِ »
وأجاب رفيقِي : « لا ، هيهاتِ
ذلك صوتِ الموجِ الرقراقِ
الريحِ الحاملةِ البيضاءِ تمرُّ على الموجِ الرقراقِ
وتخادعُ أسماعَ العشاقِ »



لأياً وتبنا الحركه
 ثمة وإذا جئته سمكه
 فوق الموجة ميتة والشاطئ في إشفاق
 وصرخت : « رفيق ! أين نسير ؟
 لنعد ، فالجثة همس نذير
 أرسلها عملاق شريـر
 إنذار أسي ودليل فراق »
 رفيق : « نحن هنا يحرُسنا الحب فأى فراق ؟ »
 وغرقنا في صمت برّاق



ومشينا لكن الحركة
 ظلت تتبعنا ، والسمكه
 تكبر حتى عادت في حضن الموجة كالعملاق
 وصرخت : « رفيق ! أى طريق

يَحْمِينَا مِنْ هَذَا الْخَلْقِ ؟
 لَنَعُدَّ ، فَالِدَرْبِ يَضِيقُ يَضِيقُ
 وَالظُّلْمَةُ مُحْكَمَةُ الْإِغْلَاقِ ،
 فَأَجَابَ رَفِيقِي مَرْتَعِشاً ، وَالظُّلْمَةُ مُحْكَمَةُ الْإِغْلَاقِ :
 « نَهْرُبُ ، لَنْ تُسَلِّمَنَا الْآفَاقُ »



وَبَقِينَا نَهْرُبُ وَالسَّمَكُ
 تَتْبَعُ أَرْجُلَنَا الْمَرْتَبِكُ
 تِلْكَ الْأَحْدَاقُ وَأَيْنَ الْمَهْرَبُ مِنْ لَعْنَةِ تِلْكَ الْأَحْدَاقِ ؟
 وَزَعَانِفُهَا السُّودُ الشَّوْهَاءُ
 سَدَّتْ فِي وَجْهِنَا الْأَرْجَاءُ
 وَأَرَاقَتْ فِي الْجَوِّ الْوَضَاءُ
 سُحُبًا سَوَادَةً وَلَوْنٌ مُحَقَّقٌ



حَتَّى وَجْهُ الْقَمْرِ السَّحَرِي غِشَاهُ أُسَى وَظِلَامُ مَحَاقٍ
وَتَلَاثِي مَبْسُومُهُ السَّبْرَاقُ



وَرَجَعْنَا نَسَحَبَ قَلْبَيْنَا
وَنَجْرُ كَأَبْسَةٍ ظَلِيلَيْنَا
تَشْبَعُنَا الْأَحْدَاقُ النَّهْمَاتِ بِنَظَرَةٍ هُزْءٍ لَيْسَ تُطَاقُ
حَتَّى الْأَغْصَانُ الْمَشْتَبِكُ

عادت تُشبه عينَ السمكة
وتروع خُطانا المرتبكه
والأنجمُ عادتْ كالأحـداقُ
والغدُ والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحـداقُ
رَسَبَتْ وتسوارت في الأعماقُ

١٩٥٠/٨/١٢

إلى العام الجديد

يا عام لا تَقْرَبِ مساكننا فنحن هنا طُيُوفُ
من عالم الأشباح ، يُنْكِرُنَا البشرُ
ويفر منا الليلُ والماضي ويجهلنا القدرُ
ونعيشُ أشباحاً تطوفُ

نحن الذين نسيرُ لا ذكرى لنا
لا حلمٍ ، لا أشواقَ تُشرقُ ، لا منى
آفاق أعيننا رمادُ

تلك البحيرات الرواسد في الوجوه الصامته
ولنا الجباه الساكنه

لا نبضَ فيها ، لا اتقاد
 نحن العزاةُ من الشعور ، ذوو الشفاه الباهته
 الهاربون من الزمان إلى العدم
 الجاهلون أسي الندم
 نحن الذين نعيشُ في ترفِ القصور
 ونظلمُ ينقصنا الشعور .
 لا ذكريات ،
 نحيًا ولا ندرى الحياة ،
 نحيًا ولا نشكو ، ونجهل ما البكاء .
 ما الموت ، ما الميلاد ، ما معنى السماء .



يا عام سر ، هو ذا الطريق
 يلوى خطاك . سدى تؤمل أن تُفنى



نحن الذين لهم عُرُوقٌ من قَصَبٍ
بيضاءُ أو خضراءُ ، نحن بلا شعورٍ .
أحزن نجهله ونجهل ما الغضبُ
ما قولُهُمْ إِنَّ الضمائرَ قد تثورُ
ونودّ لو مُتْنَا قَرَفُضْنَا القبورُ
ونودّ لو عرّف الزمانُ
يوماً إلينا دربه كالآخرين
لو أننا كنّا نورّخ بالسنين ،
أو أننا كنّا نقيّد بالمكان ،
لو أن أبوابَ القُصُورِ الشاهقاتِ
كانت تبيّء قلوبنا بسوى الهواء ،
لو أننا كنّا نسيرُ مع الحياه
نمشي ، نُحِس ، نرى ، ننام

وينالنا ثلجُ الشتاء
 ويلُفّ جبهتنا الظلامُ
 أوَاهُ لو كنّا نُحسّ كما يُحسّ الآخرونُ
 وتنالنا الأسقامُ أحياناً وينهشنا الألمُ
 لو أنّ ذكرى أو رجاءً أو ندمَ
 يوماً تسُدُّ على بلادتنا السيلُ
 لو أنّنا نخشى الجنونُ
 ويثير وحشتنا السكونُ
 لو أنّ راحتنا يعكّرها رحيلُ
 أو صدمةٌ أو حزنٌ حبّ مستحيلُ .
 أوَاهُ لو كنّا نموتُ كما يموت الآخرونُ

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ إذنُ في الطريقِ الطويلِ
تُواجهُنَا الأوجهُ الحامده
يواجهنا كل شيء رأينا منذ قليل
كما كان في ركلةٍ بارده
نعودُ إذن ، لا ضياء ينير
لأعيننا الحامده

نسير ونسحب أشلاء حُلُمٍ صغير
دفنناه بعد شبابٍ قصير



نعودُ وهذا طريقُ الإيابِ

يُحدّ مرارتهُ ورتابةَ أسرارهِ

نسِيرُ ويبرُزُ بابُ

هنا ، وجدارٌ هناكَ يسُدُّ الطريقُ

بأحجارهِ

وثُمَّ سِياجٌ عتيقٌ ،

تهدّم عند التَّهَرُّ .

وعابرةٌ ، دون معنىٍ تمسُدُ البَصَرَ

إلى حيث لا نعلم ،

تمرُّ بنا ، لا تُفكّرُ فينا

وننسى ونجهلُ أنا نسينا

ولا نفهمُ .



نعودُ إذن في طريقِ الإيابِ المريعِ

وكنّا قطعناه منذ زمانٍ قصيرٍ

وكنّا نسمّيه ، دون ارتيابٍ ، طريقَ الرّواحِ

ونعبُرُهُ في ارتياحٍ :

يسمُدُ لنا كلُّ شيءٍ نراه يدا

يكاد يُعَانِقُنَا ويصُوبُ علينا غدا

دفائقُهُ نَسَجَتُهَا المُنَى .

وكنّا نُسَمِّيه ، دون ارتيابٍ ، طريقَ الأملِ

فما لشذاه أفلّ ؟

وفي لحظةٍ عاد يُدْعَى طريقَ المللِ ؟

وعُدْنَا نا سِيرَ وَيُسَلِّمُنَا المُنْحَنَى

إلى آخِرِ ضَيْقٍ

ويدفعُنَا كلُّ شيءٍ نراه

إلى يأسنا المُطْبِقِ

ونشعرُ أَنَا ضَجِرْنَا ضَجِرْنَا وَعَفْنَا الحياه
وعُدْنَا نَمِجَ الحياه .



لماذا نعود ؟

أليسَ هناكَ مكانٌ وراءَ الوجودِ

نَظِلُ اليه نَسِيرُ

ولا نستطيع الوصول ؟

مكانٌ بعيدٌ يقود اليه طريقٌ طويلٌ

يَظِلُ يسير يسيرُ

ولا ينتهى ، ليسَ منه قُفُولُ

هنالكَ لا يتكررُ مشهَدُ هذا الجدارُ

ولا شكلُ هذا الرواقِ

ولا يُرْسِلُ النهرُ في مللٍ نغمةَ لا تُطاقُ

نُصِيحُ لها في احتقارِ

لأنَّ الطريقَ طريقُ الرجوعِ
لأنَّا بلغنا نهايةَ دربِ الرّواحِ
وأصبح لا بُدَّ من أن نذوقَ الجراحِ
ونحنُ نسيرُ ونقطعُ دربَ الرجوعِ
ونزيعُهُ بالدموعِ

●
ألا بُدَّ من أن نثوبَ
وتدفعنَا خَلَجَاتِ المرارةِ دونَ حُلُمٍ ؟
ألم ينطويءْ كلَّ حُلُمٍ كَلُوبُ
وها نحنُ نعلمُ أنَّا بلغنا القِيمَ ؟
وسرُّنا على أوجها مرَّةً ، ثمَّ حانَ الإيابُ
وعُدُّنا ناجرَ قيودِ الألمِ
ونُلبركَ كيف تغيَّرَ حتَّى الترابُ
تغيَّرَ حتَّى الطريقُ

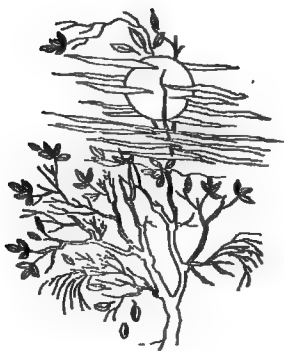
وأصبح يرفُضُنَا في ملالٍ وضيقٍ
وعاد يصبُّ علينا جُمُوداً عميقاً .



وعُدْنَا نسيرُ
نجرُّ أحاسيسنا الراكدة ،
وتصلُّ مِنَّا الأوجه الحاملة .
نسيرُ ، نسيرُ ،
نحدِّق في أي شيء نراه ،
بهذا السياج المهلِّم أو بسواه .
نحدِّق ، لا رغبةً في النظرُ
ولكن ... لأنَّ لنا أعينا .
نعلّق ، لا شوقَ يغري بنا
ولكن لأننا سئمنا السكون الخفيفُ
ووقعَ خطانا الرنبيات فوق الرصيفِ
سئمنا فأين المقرُّ ؟

ولا بدّ من أن نعود
فليس هناك مكان وراء الوجود
نظّل إليه نسير
ولا نستطيع الوصول .

١٩٤٩/٣/١٥



الأعداء

نحن إذن أعداء

من عالم لا يفهم الأشواق

ولا يعي أغنية الأحداق

أعيننا لا تفهم النجوى

الحب فيها سيرة تُروى

كان لها أمس

وضمة رسم

من تربة البغضاء



نحن إذن أعداء

تفصيلنا عوالم شاسعة

حُدودها المجهولة الضائعة

تبث في دروبنا المستحيل

فننزع العُمرَ الحديدَ الطويل

بجأ عن الباب

وحبنا الخبايا

يُغري بنا الصحراء



نحن إذن أعداء

ترقد في أعماقنا الذكرى

مشلولة، ضائعة، حيرى

المقت يلتقي فوقها ظلاً

والحفد لم يبتق لها شكلاً

ولعنة الأيتام

خلقت الأحلام

فوق الثرى أشلاء



نحن إذن أعداء

وإن تكن تجمعنا أحلام

من أمسنا أودت بها الأيتام

وإن تكن قد خلقت أشياء

في المقل الفارغة الجذباء

في الأوجه الداوية

كنجمة خايه

تغرب في الظلماء



نحن إذن أعداء

وإن طغيت في دمننا الأشواق

ودبت اليقظة في الأرقاق

وبيننا عوالم شتى

ندركها كما يعي الموتى

تحت التراب المهين

وقع خطا العابرين

وضجة الأحياء

١١٤٩/١١/٢٦

حصاد المصادات

حينما يرقند الهوى ميتاً فو

ق تراب الأيام والأعوام
وتعود الذكرى صدىً جامد الوَقْدُ

ح لعهدٍ مغلفٍ بالظلام
وتموت الألوان في المقل الجدد

باءٍ في حسرة وفي استسلام
ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجدد

بِ وتطغى الفوضى على الأنعام



حينما يُصبح المسوى قصةً كا
 نت ومرّت بالكون منذُ عصور
 عشش الصمتُ في خرائثها النكا
 راء خلفَ الخيالِ والتفكيرِ
 وطوى نبضها انصبابُ البرودِ ١١
 سمرّ في كلّ شهقةٍ وشُعورِ
 وخمود الفراغ لفّ صداها
 يجمود الموقى وصمتِ القبورِ



وتُحسّ العيونُ أنّ عيوناً
 ماتت فيها المعنى وعادت رَمادا
 لم تعدْ في أهدابها خليجةٌ تسمو
 تصرخ الشوق والصدى والسهادا

ضاعَ في جَوْها النداءُ وردَّتْ
 آهةٌ في السكونِ تنعَى المُنادَى
 وارتمت في أنحائها رَغباتُ الـ
 أمسِ والذكرياتُ عادتُ جَمَادَا



عند ما ينطوي النداءُ وتُمنحى
 كلماتُ النجوى وتُطوى الأمانى
 وتُحسُّ القلوبُ أنَّ قلوباً
 برّدت في أصابعِ النسيانِ
 عنكبوتِ الحُمُودِ شبَّك فيها
 عُشَّةُ والسكونُ لفَّ الأغاني
 وغُبارُ السنينِ جرَّ على الأشـ
 —واقِ سترَ اللاّ لونِ واللاّ كيّانِ



ربّما يلتقي هنالك طيفا
 نِ من الأَمسِ في شَعَابِ طريقِ
 يعبرُانِ الحياةَ قد ضيّعا ممـ
 سلكةَ الحبِّ في الزمانِ السَّحيقِ
 في برودِ بحرٍ كلٌّ على الآ
 خِرِ خالي العيونِ ميّتَ العُروقِ
 لا شعورٌ يلوح في أعين صمّتـ
 اءَ غرقى في لُجٍّ صمتٍ عميقِ



من حصّادِ المُصادفاتِ يَمـرا
 نِ كنجمينِ في امتدادِ الفضاءِ
 ربّما نلتصا غرامهما المـا
 ضي بشبهِ ابتسامةٍ جدباءِ

ربما ألقيا التحيّة لا مَعْمُ —
 سقّ لها ، في بُرودةِ الغُرباءِ —
 ثمّ سارا كأنّما لم تكنْ يو —
 ما حياةٌ عطشَى وراءَ الدّماءِ —

١٦٤٩/١٠/١٣



النائمة في الشارع

في الكَرَّادةِ ، في ليلة أمطار ورياحٍ
والظُّلُمةُ سَقَفٌ مُدَّةٌ وسَرٌّ ليس يُزَاحُ
إِنتِصَفَ اللَّيْلِ ومَلءَ الظُّلُمةِ أَمْطَارُ
وَمَسْكُونٌ رَطْبٌ يَصْرُخُ فِيهِ الإِعْصَارُ
الشَّارِعُ مَهْجُورٌ تُبْعُولُ فِيهِ الرِّيحُ
تَتَوَجَّعُ أَعْمَدَةٌ وَتَنُوحُ مَصَابِيحُ
وَالْحَارِسُ يَعْبرُ جَهَنَّمَاً مَرْتَعِدَ الخُطُواتِ
يَكشِفُهُ البرقُ وَتَحْجُبُ هَيْكَلُهُ الظُّلُمَاتُ

ليل يجرّفه السيلُ . وينهشه البردُ
تستفيض الظلمة فيه ويرتعش الرعدُ



في مُنعطفِ الشارع ، في ركنٍ مقررٍ
حرستَ ظلمته شرفة بيتٍ مهجورٍ
كان البرق يمرُّ ويكشفُ جسمَ صبيّة
رقدتْ يلسعها سوطُ الريحِ الشتويّة
الإحدى عشرة ناطقة في خلدتها
في رقةٍ هيكلها وبراءةٍ عينها
رقدتْ فوق رخامِ الأرصفةِ الثلجية
تُعولُ حول كراها ريحٌ تشربنيّة
ضمتْ كفتيها في جزعٍ . في إعياءٍ
وتوسدتِ الأرضُ الرطبة دون غطاءٍ

لا تغفوا ، لا تغفلُ عن إحوالِ الرعدِ
 والحمى تُلهبُ هيكلها ويدُ الشهيدِ
 ظمأى ، ظمأى للنومِ ولكن لا نوما
 ماذا تنسى ؟ البردُ ؟ الجوعُ ؟ أم الحمى ؟
 ألمٌ يبقى ينهشُ ، لا يرحمُ مِخلبُهُ
 الشهيدُ يضاعفه والحمى تُلهبُهُ
 نازُ الحمى تُلهبُها صوراً وحشية
 أشباحُ تركضُ ، صيحاتُ شيطانية
 عبثاً تُخفى عينيها وسُدى لا ننظرُ
 الظلمة لا تبرى ، والحمى لا تسمُرُ
 وتظلُّ الطفلةُ راعشةً حتى انفجرِ
 حتى يجبو الإعصارُ ولا أحدٌ يبرى



أَيَّامُ طِفْلَتِهَا مَرَّتْ فِي الْأَحْزَانِ
تَشْرِيدٌ ، جَوْعٌ ، أَعْوَامٌ مِنْ حِرْمَانِ
إِحْدَى عَشْرَةَ كَانَتْ حَزْنًا لَا يَنْطَفِئُ
وَالطِّفْلَةُ جَوْعٌ أَزْلَى ، تَعَبٌ ، ظَمَأٌ
وَلَمَنْ تَشْكُو ؟ لَا أَحَدٌ يُنْصِتُ أَوْ يُعْنِي
الْبَشَرِيَّةَ لَفْظٌ لَا يَسْكُنُهُ مَعْنَى
وَالنَّاسُ قَنَاعٌ مُصْطَنَعٌ اللَّوْنِ كَدُّوْبُ
خَلْفَ وَدَاعَتِهِ اخْتِبَاءُ الْحَقْدِ الْمَشُوبُ
وَالْمُجْتَمَعُ الْبَشَرِيُّ صَرِيعٌ رُؤْيٍ وَكُتُوسُ
وَالرَّحْمَةُ تَبْقَى لَفْظًا يُقْرَأُ فِي الْقَامُوسِ
وَنِيَامٌ فِي الشَّارِعِ يَبْقَوْنَ بِلَا مَأْوَى
لَا حُمَّى تَشْفَعُ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا شَكْوَى
هَذَا الظُّلُمُ الْمُتَوَحِّشُ بِاسْمِ الْمَدِينَةِ ،
بِاسْمِ الْإِحْسَاسِ ، فَوَاخَجَلِ الْإِنْسَانِيَّةَ

مرثية امرأة لا قيمة لها

« صور من زقاق بغدادى »

ذهبت ولم يشحب لها خدٌ ولم ترجف شفاهُ
لم تسمع الأبواب قصة موتها تُروى وتُروى
لم ترتفع أستار نافذة تسيلُ أمى وشجوا
لتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
الا بقية هيكلي في الدرب تُرعى شُهُ الذِكرُ
نبأ تعثر في الدروب فلم يجد مأوى صلاه
فأوى الى النسيان في بعض الحُفر
يرثى كآبته القمر .





والليلُ أسلم نفسهُ دون اهتمامٍ ، للصباحِ ،
وأتى الضياءُ بصوتِ بائعة الحليبِ وبالصيامِ ،
بمؤاءٍ قطُّ جائعٍ لم تَبْقَ منه سوى عظامٍ ،
بمُشاجراتِ البائعينِ ، وبالمرارةِ والكفاحِ ،
بتراشقِ الصبيانِ بالأحجارِ في عرضِ الطريقِ ،
بمساربِ الماءِ الملوّثِ في الأزقةِ ، بالرياحِ ،
تلهو بأبوابِ السطوحِ بلا رفيقٍ
في شبهِ نسيانٍ عميقٍ

١٩٥٢/٧/٦

الأرض المحجبة

صَوَّرُوا جَنَّةَ مَحْرَبَةٍ
من رحيقٍ وورودٍ شفقيّة
وأراقوا في ربّاهَا صُوراً
من حنانٍ ، وتساييحَ نقيّة
ثم قالوا إن فيها بلبساً
هيأتهُ لجراحِ البشريّة
وأردناها فلم نَنظِفِرْ بها
ورَجَعْنَا لِأَمَانِينَا الشقيّة

●

الملايينُ عيونُ ظمئتُ
عز. أن تملكَ سلوىً واحده
والملايين شفاهَ عطِشتُ
ليس تُروِيها الوعود الباردة
ذلك المشعلُ هاتوهُ فقد
أكلَ الليلُ العيونَ الساعده
وأمرّوه على أشباحنا
لتروا لونَ دمانا الجاعده



عُمرُّنا كان طريقاً مُعتمِماً
فأنبروه الى القبرِ أخيراً
وصيانا كان جرحاً ساهداً
يشربُ الملحَ ويقتات السعيرا

وأغانيها رَصَفْنَاهَا أَسَى
وسَقَفْنَاهَا غُيُومًا وَهَجِيرًا
وهَوَانًا وَالْمُنَى بَعْنَاهُمَا
وَأَشْتَرَيْنَاهُمَا حُزْنًا كَثِيرًا



أَيْنَ ذَاكَ النَّبْعُ ؟ فِي أَيِّ ضَحَى
سُتَلَاقِيهِ ؟ وَفِي أَيَّةِ لَيْلِهِ ؟
لَمْ نَزَلْ نَحْتَفِرْ فِي أَعْمَارِنَا
ظُلُمَاتٍ لَيْسَ فِيهَا طَيْفٌ شُعْلُهُ
وَزَحَفْنَا وَجَرَرْنَا مَعْنَا
أَلْفَ قَيْدٍ فِي الْأَكْفِ الْمَضْمَحَلَّةِ
وَوَجَدْنَا دَرَبَنَا مَقْبَرَةً
مَا لَنَا فِيهَا سِوَى الْمَوْتَى أَدْلَهُ



حدُّثونا عن رخاءٍ ناعمٍ

فوجدنا دربنا جوعاً وعُرياً

وسَمِعنا عن نقاءٍ وشذىٍ

فرأينا حولنا قبحاً وخزياً

ورَتَعنا في شقاءٍ قاتلٍ

وكَفَّنا بُؤْسنا شيباً ورياً

○

وعرِينا وكسونا غيَرنا

وكسبنا القيدَ والدَّمعَ السَّخياً

●

أينَ تلكَ الأرضُ؟ مَنَ حجبها؟

نحنُ شدَّناها برناتِ الفُثوسِ

وأجمعنا في الدجى أطفالنا
لنغذيها وجدنا بالنفوس
وزرعنا وحصدنا عُمُرنا
وجنينا ظلمة الدهر العبوس
وسقينا أرضها من دما
ومنحناها لأرباب الكُثُوسِ



أين تلك الأرض ؟ هل حان لنا
أن نراها أم سبقَ مُغْلَقَه ؟
لم تَزَلْ فينا حنيناً صامتاً
وابتهالاً في شفاءٍ مُطْبِقَه
والملايينُ حنينٌ جارِفٌ
يتلظى ورؤى محترقه

افتحوا البابَ فقد صاح بنا
صوتُ آلافِ الضحايا المُرَّهقه



صوتُهُمُ خَشَنَهُ البؤسُ فما
فيه دِفءٌ أو بريقٌ أو لُيُونَه

وحشاهُ الدَّمْعُ مِلْحاً قاسياً
وشكاياتٍ وجوعاً وخُشُونَه

صوتُهُمُ خالطَهُ الصبرُ وكم
قد صَبَرْنَا في شُحُوبٍ وسَكِينَه

لعنةُ الحسِّ علينا إن يكنْ
غَدُّنا كالأمسِ أقياداً مُهِينَه !

١٩٥٢/٥/١١

لنفتروا

لنفترقِ الآنَ ما دامَ في مِقتلتينا بريقُ
وما دامَ في قعرِ كأسِي وكأسكَ بعضُ الرحيقِ
فعمّا قليلٍ يُطلُ الصّباحُ ويخبو القمَرُ
ونلمحُ في الضوءِ ما رسمتهُ أكُفُ الضجَرِ
على جبهتينا

وفي شفتينا

ونُتركُ أنَ الشعورَ الرقيقُ
مضى ساخراً وطواه القدرُ



لنفترقِ الآنَ ، ما زالَ في شفتينا نغمُ
تكبرَ أن يكشفَ السرَ فاختر صمتَ العدمِ
وما زالَ في قطراتِ الندى شفةٌ تنغني
وما زالَ وجهُكَ مثلَ الظلامِ له ألفَ معنى
كسنته الظلالُ

جمالُ المُحَالِ

وقد يعتردهِ جُملود الصَّمِّ
إذا رفعَ الليلُ كفيهَ عنا



لنفترقِ الآنَ ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلِ
رهيباً أجش الرنينِ يذكرني بالرحيلِ
وأشعر كفيكَ ترتعشانِ كأنك تُخفي
شعوركَ مثلي وتحبسُ صرخةَ حُزنٍ وخوفٍ

لم الإرْتجاف ؟

وفيمَ نخاف ؟

ألسنا سنُدرِك عمّا قليل
بأن الغرامَ غمامة صيفٍ



لنفترقِ الآنَ ، كالغُرَباءَ ، وننسى الشعورُ
وفي الغدِ يُشرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصورُ
وفيمَ التذكّر ؟ هل كانَ غيرَ رؤىٍ غابره
أطافتُ هنا برفيقَيْنِ في ساعةٍ غابره ؟
وغيرُ مساءٍ

طواه الفناءُ

وأبقى صدهاءُ وبعضَ سطورٍ
من الشعرِ في شفتيّ شاعره ؟



لنفترقِ الآنَ . أشعر بالبردِ والخوفِ . دعنا
نغادر هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبينِ نسحبُ عبءَ أدِّ كاراتينا الباهته
وحيدينِ نحملُ أصداءَ قصتنا المائته

لبعض القبورِ

وراء العصورِ

هناك لا يعرفُ الدهرُ عنا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخريّة الرماد

لو رَجَعْنَا غَدًا وأراد الزمانُ
أن يرانا كما كنّا
والتقينا فهل ينبضُ الميتان
خلفَ ألواح صدْرَيْنَا

•

لو رَجَعْنَا غَدًا ورآنا القَمَرُ
بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف نمنح ما قد غيّر
ومضى فُرْصَةً أخرى

•

لو رَجَعْنَا غَدَاً وَرَأَيْنَا النُّجُومَ

نَجْمَعُ الذِّكْرَ الذَّابِلَه

نَسْتَعِيدُ الْهَوَى وَنُظِلُّ نَحْسُومَ

حَوْلَ أَحْلَامِنَا الرَّاحِلَه



لو رَأَى الطَّرِيقُ نَشْقَ السَّكُونِ

بِتَعَابِيرِنَا الْجَامِدَه

وَيُخَادِعُنَا مَا طَوَّقَتْهُ الْمَسُونُ

مِنْ رَغَائِبِنَا الْحَامِدَه



وَنُزِيلَ رَمَادَ شُهُورِ طِيْوَالِ

عَنْ هَوَى لَفِّهِ الْمُسْتَحِيلِ

فوقَ أشلّاته ذكرياتٌ ثقالٌ
من دموعي وحزني الطويل



سَترانا النُجومُ نسيرُ معاً
يخدعُ الليلُ مرآنا
خلفَ أهدابنا شغفٌ مُدعى
سائرٌ مرّ ما كانا



وسيسخرُ من شبحيّنا القَمَرُ
وهو يرقُبُ كيف نسيرُ
كيف ننشرُ ما قد طواه القَدَرُ
واحتواه سكونُ المصيرُ



وهناك نرى جثث الأشواق
في خمودٍ طويلٍ عميقٍ
ويُخَادَعُنَا لَوْنُهَا الْبَرَّاقُ
فنؤمِّلُ أن تستفيقُ



ونرى ركبَ أَيْامِنَا الْمَاضِيَةِ
لم يزلْ لَاهُتَ الْإِنْفَاسُ
فنمُدُّ لَهُ الْأَذْرَعَ الْذَاوِيَةِ
علَّه يوقظ الإحساس



وَبِرَّانَا الدُّجَى رَاكِعَتَيْنِ عَلَى
تُرْبَةٍ الْمَرْقَدِ الْجَافِيَةِ
تَلْمَسُ الْجِثَّتِ الْمُرْسَلَاتِ إِلَى
الْأَفْقِ أَعْيُنَهَا الْحَايِيَةِ



ویرانا اللجی فجأة فی عباء
 فی أسی غامقٍ شاردٍ
 واقفین نحس اصطدام الرجاء
 بشری الواقع البارد

ویمرّ علی جبهتینا المساء
 بارداً مثل لوحٍ جلیدٍ
 ونعود کواكبہ الیضاء
 أعیناً طفحت بالوعید

ویشعننا القمر الهادی
 برودٍ مشیرٍ غریبٍ
 ویلاحقنا وجهه الهازی
 حیث مرّنا بصمتٍ مرّیبٍ

وَنُحَسِّسُ أَخِيْرًا بِأَنَّ الْقَضَاءُ

قَدْ طَوَّى حَبْنَا الْآفَلَ

وَبَقَيْنَا حَيَّارَى هُنَا غُرْبَاءُ

نَذَرَعُ الْعُمُرَ الْقَاحِلَا



وَهِنَالِكَ سَوْفَ يُغْنِي الرَّمَادُ

وَمَيِّسُخَرِ حَتَّى الْقَمَرِ

مِنْ أَسَانَا وَمِنْ أَمَلٍ لَا يُعَادُ

كَانَ يَوْمًا لَنَا وَانْدَثَرُ

صائدة الماضى

انتظرنى ، غداً سيقذف بى المو
ج إلى شطرك الغريب البعيد
ثم تمشى بى السنون إلى با
بك بعد البحث الطويل المديد
وترانى خلف الزجاج أجراً
أمس فى لفحة المشوق العنيد
أتحدثى الصخور فى الشاطئ العا
رى وألوى شموخها بنشيدى



انظرنى ، وإن تمزّقَ فى صدّ
 ركّ ماكان ذاتَ يومٍ رجاء
 أو سمعتَ الرّيحَ تصرخ عاداً
 حبّ ذكرى ورغبةً عميماً
 أو رأيتَ النجومَ تُنكر فى أهـ
 لدابك الشوقَ والصدى والنداء
 أو أبت مقلتك أن ترسمًا حلّ
 مأجسديداً وثارتا كبرياء



وإذا وسوستُ بصدرك أشلاً
 أو الأمانى وزمجرت فى جنونٍ
 ومضتْ توقظ الشكوكَ وتُغرى
 بلبالك عاصفات الظنونِ

وتخيلت أنتى بعث ذكرا
لك وأمعت فى الجمود المهين
فانتظرنى ، لابد أن نلتقى يو
مأ وألوى بشكتك المحسوس



سأصيد الأحلام من أمسنا لها
رب حُلماً حُلماً، وراع الزمان
وَألمُ الأفراح من كل ركن
ضائع فى مقابر الأحزان
ألقط الذكريات دون كلال
من غُبار السكون والنسيان
وَأناشيدنا ألم صدهاها
وأعيد الحياة للأوزان



ثم أمضى ، يُشير لى وجهك التنا
 ريخَ بحثاً عن حبنا المغدورِ
 ذلك الأمس ، لو عثرت عليه
 فى زوايا التاريخ بين العُصورِ
 لأبثَّ انتفاضةً الحى فيه
 وارتعاشَ الصدى ونَبْضَ الشُّعورِ
 ثم نمشى معاً اليك ، إلى شط
 طيك فوق الأمواج بين الصخـورِ



وترآنا فُجَاءَةً نصعد السُّد
 لِّلمَّ فى لُففةٍ وشوقٍ كلانا
 أنا والأمس كله ، نطرق البا
 بَ غريبين لَامَسَا الأوطانا

وتُحس النجوم أنا رَجَعْنَا

نعصر الدهر لحظةً من هَوَانَا

ويقول الزمان : عاداً إلى الحب

وعاد الفراق وهماً كانا

١٩٤٩/١٠/٢٤

إلى أختي سها

هيا معي فالليل مختلج الدجى حباً وشعراً
وعرائس الأحلام تفرش دربتنا لوناً وعطراً
وهناك في أعماقنا نبرات آلهة تغنى
ونحسها تلقى إلينا ألف أغنية ولحن
هيا معي تبسم الدنيا إذا أنت ابتسمت
ماذا يثير أساك ما دمنا نظل ، أنا وأنت ؟



الليل يعرفنا ، خطانا طالما زرعت دجاءه
والنجم يذكرنا فكم سهوت علينا مقلناه

أخْطَاهُ هَانِي كَفَلَكَ الْبَسْمَتِي فَقَدْ حَانَ الْمَسِيرُ
أَلْجَدُ يَصْرُخُ يَسْتَحِثُّ خَطَاكَ وَالْحُلُمُ الْكَبِيرُ
لَا ، لَا تَخَافِي أَنْ تُخَادِعَكَ الرَّؤْيَى إِنْ أَنْتِ جِئْتِ
فَاللَّيْلُ يَعْزِفُنَا وَنَحْنُ مَعًا نَنْظُرُ أَنَا وَأَنْتِ



سِيرِي مَعِي فَتَحْرِقُ الْمَجْهُولِ يَصْخَبُ فِي دِمَانَا
وَالْأَمْسَ ، تِلْكَ الْغُرْفَةُ الصَّمَاءُ غَابَتْ عَنْ رِوَانَا
مَاذَا يَشُدُّ هُنَا لِيَالِنَا الْحَزِينَاتِ الشَّقِيَّةِ ؟
وَهُنَاكَ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ ضَبَابُ شُطَّانٍ خَفِيَّةِ
سُتْرِيقِ أَنْجَمَتِهَا عَلَى أَقْدَامِنَا إِنْ أَنْتِ جِئْتِ
وَصَحَبَتِنِي لِنَجُوبَ آفَاقِ الْوُجُودِ ، أَنَا وَأَنْتِ



وصحبتني ونسيتِ دربَ الذكرياتِ الكاسفه
حيث الصخور السود والحيات تلهث زاحفه
حيث انجرحنا ثم للمنا الجراح على عَجَلٍ
ونَهَضت تتبعني خطاكِ الحائرات بلا أمل
أختاه لا تبكي على الماضي سدّي ما قد بكيتِ
لن يرجعَ الماضي وان نُحِنا عليه ، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجوب سحيقَ البلاد ؟

يعيث السراب بنا

تُناولُنا وَهْدَةً لُوْهَادُ

ويَخْذَعُنَا المُنْخَنَى



وفيمَ أتينا ؟ يسائلُنا البحرُ : ماذا نُريد ؟

وتلحقُنا عَرَبَاتِ الرِّيحِ وتبقى تُعيدُ

تُعيدُ السُّؤالَ

ولا زدت إلا خطوط الملال

على صمت أوجهنا في الليالي الطوال

نفرت وتذكرتنا من جديد



ويسألنا الأفق أين نسافر ؟ أين نسير ؟

ومن أي شيء هربنا ؟ وفيم ؟ لأي مصير ؟

وفي صمتنا

قلوبٌ تدق ، ووقع المني

على بأسنا فرح لا يطاق فهيّا بنا

لنبحث عن جرح حزن صغير



وفي سيرنا نسمع الليل يسخر من سرنا

يلاحقنا بالظلام ويغري الرياح بنا

يقول الطريق

لماذا نجرب الوجودَ السحيق

يُلاحقنا أمسنا ورؤانا ووجهٌ صديق

وحمام نهربُ من ظلّنا ؟



وفي سیرنا في الدياجير نُبْصِرُ هُزءَ القَمَرِ

ويُغْضِبُنَا في سناه البرود ، وبعض الشجر

يسدّ السبيل

علينا ، ويسخرُ منا الأصيل

ويُسَبِّئُنَا أنّا الباحثون عن المُسْتَحِيلِ

وأنّا ، برغمِ مَنانا ، بَشَرٌ

ونسَمَعُ من جَنَنِاتِ المسالك ذات مساء

صدى هامساً في الدجى أننا ... أننا جُبَّاناء

نخاف الأصيل

ونرحل لارغبة في الرحيل

ولكن لنهرب من ذاتنا ، من صيراع طويل

ومن أننا لم نزل غرباء .



وها نحن ، حيث بدأنا ، نجوب الظلام القطيع

شتاء يموت ، وأسئلة لم يسجبنها ربيع

حيارَى العيون

يسائلنا غدا من نكون ؟

ويتركنا أمسا المنطوى في ضباب القرون

فيا ليل ، يا بحر ، أين نضيع ؟

١٩٥١/١/٢٩

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر؟

« إلى الصديقة التي سألتني ذات مساء : ماذا يقول النهر ؟ » .

ماذا يقول النهر ؟

أقصصة

يَنسُجُهَا من رَقص ضوءِ الْقَمَرِ

يَنسُجُهَا من غَزَلِ نَاعِم

يُدَاعِبُ النُخْلَ بِهِ المُنْحَدِرُ

من نور مصباح يُغْدِي الدجى

حرارةً وَيُسْثِيرُ الشَّجَرُ

من وقع مجداً في خفيف الخطي
يشق في الظلمة صدرَ النهـر

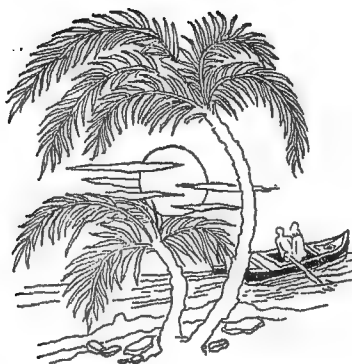


ماذا يقول النهـر ؟

أغنية

قديمة ، بنت ليالٍ طوأل
غنى أساهـا مرةً عاشق
والليل سكران بكأس الجمال
مُشكلةً بالدفء ، ما زال في
ألحانها بعض حنين الجمال
وخشعة الهودج تحت الدجى
ووقع أقدام الحداة الثقال





ماذا يقول النهر ؟

تسبيحة

من بابلِ النشوى بعمار البحور
وموكب الكهّانِ في معبّد
ديّجة يطوى سرّه والصخور
وذكريات الليل والشمس عن
(مدينة الشمس) وراء العصور

وعن (حَمُورَانِي) وعن حُبَّة
وما طَوَى سَفَرُ الزَّمان الغَلُورُ



ماذا يقول النهرُ ؟

لا تسألي

دعي غلافَ السرِّ كُشًّا عَمِيقًا
لو كُشِفَ الزَّنبِقُ الْغَازِهُ
لم يَبْقَ مَعْنَى لَشَدَاهُ الرَّقِيقُ

١٩٥٠/٧/٢٧

ثلاث مراتٍ لأُمِّي

قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً
ذهنياً محضاً ، غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة
حياة . وقد كانت القصائد الثلاث التالية محاولة
للتعزى بلحاة إليها على أثر وفاة أُمِّي في ظروف
محزنة عانيت منها معاناة خاصة . ولم أجد
لأُمِّي منفذاً آخر غير أن أحبه وأغنى له

ن . م .

١ أغنية للحزن

أفسحوا الدربَ له ، للقادم الصافي الشعورِ ،
للغلام المرهفِ السابحِ في بحر أريج ،
ذو الجين الأبيض السارقِ أسرارِ الثلوج
إنه جاء إلينا عابراً خِصْبَ المُرُورِ
إنه أهدأ من ماءِ الغديرِ
فاحذروا أن تجرحوه بالضجيجِ



إنه ذاك الغلامُ الدائم الحُزنِ الحُجُولِ
ساكنُ الأمسيةِ الغرقى بأحزانٍ خفيّةِ

والزوايا الغيبيات السكون الشفقية
أبدأ يجرحه النوح ويضنيه العويل
فليكن من صمتنا ظلٌ ظليلٌ
يتلقاه وأحضانٌ خفية



وهو يجيا في الدموع الخرّس في بعض العيون
وله كوخٌ خفيٌ شيدٌ في عمقٍ عميقٍ
ضائعٌ يعرفه الباكون في صمتٍ عميقٍ
وسدّي يبحث عنه الألم الحشن الرنين
إنه يقتات أسرار السكون
وأسيّ مخبئاً خلف العروق



نحن هيأنا له حباً وتقديساً ونجوى



وَتَهَيَّأْنَا لِلْقِيَاهِ عَيُونًا وَشَفَاهَا
 وَسَنَلْقَاهُ مُصَلِّينَ كَمَا نَلْقَى إِلَهًا
 وَسَنُهْنِدِيهِ انْفِجَارَ الْأَدْمَعِ الْعَذْبَةِ سَلَوَى
 وَسَنُحْبُوهُ أَسَىَّ أَقْوَى وَأَقْوَى
 وَسَنُنْعِطِيهِ عَيُونًا وَجِيَاهَا
 إِنَّهُ أَجْمَلُ مِنْ أَفْرَاحِنَا ، مِنْ كُلِّ حُبِّ



انه زنبقة* ألقى بها المسوت عليْنَا
لم تزل دافئة ترعش في شوقِ يديْنَا
وسنُعطيها مكاناً عطيراً في كلِّ قلب
وشدّى حُزنٍ عميق القَعْرِ خِصْبِ
انه منا ... وقد عاد إلينا ..

١٩٥٣/٨/١٥

٢] مقدم الحزن

أفسحوا الدربَ ، إنه جاء خجلاً
نَ رقيقَ الخطِّ كئيب الجبين
الغلامُ الحساس ذو الأعين الغر
في بتاريخ ألف مرّة حزين
لأنه مُطعم العيون العميقة
تِ وينبوع كلِّ دمع سخين
ولقد جاءنا ثبلُّ عينيَّ —
٤_ الدموعُ الخرساءُ عبر السنين



إِنَّهُ حَزَنُنَا الصَّبِيَّ لَقَيْنَا
 ه عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ وَانْتَظَارِ
 لَمْ يَزَلْ هَادِئاً خَجْجُولاً كَمَا كَا
 نَ وَمَا زَالَ غَامِقَ الْأَسْرَارِ
 جَاءَنَا دَافِئاً أَرْقَ مِنْ الدَّمَةِ
 ح وَأَحْلَى مِنْ رَعَشَةِ الْأَوْتَارِ
 فَفَرَشْنَا لَهُ طَرِيقاً مِنَ اللَّهْمِ
 فَمَةِ وَالْحَبِّ وَالدَّمُوعِ الْغِزَارِ



وَأَخَذْنَاهُ فِي خَشُوعٍ إِلَى أَعْسَى
 حَاقٍ أَفْرَاحُنَا وَقَعَّرَ رِوَانَا
 وَمَنْحِنَاهُ كُلَّ مَا جَمَعَ الْحَسْبُ
 مِنَ اللَّوْنِ وَالشَّذَى لَصْبَانَا

ورصفنا له هوانا ومما أب
مقى لنا الموتُ والأسى من مُنّانا
وغسلنا جينته بدموع
صامتاتٍ عطشى تلوّبُ حنانا



انه خيطنا الأخيرُ إلى السرِّ
وةٍ فيه من أمنا ألفُ شيءٍ
لم يزلْ هامساً لنا : « إنها ما
نت » على مسمع الشدّى والضوءِ
إنّ فيه من وجهها وأمانيه
ها وأشواقها بقيّة دفءِ
وهو إحساسها يعود إلينا
مرّاعشاً من كيّاننا كلّ جزءٍ



إنه كلُّ ما بقي لنا من
 وجه ضحكنا ورجع الأغاني
 إن فيه نهاية الطرف لنا
 في ما هدم الردى من أماني
 فوهبنا له صلاة من الأد
 مع خجلى هموسة الألمان
 ومنحناه مسكناً في مآقي—
 لنا وحباً أقوى من النسيان

١٩٥٣/٨/١٧

٢ الزهرة السوداء

كترنا الغالى تركناه هنا
لحظات ثم أمرنا إليه
والتمسناه وراء المنحنى.
وعلى التل فلم نثر عليه



وسألنا عنه فى الغابة ربوه
فأجاب أنها قد نسيت
وهمسنا باسمه فى سَمْع سرّوه
فتناست فى الدجى ما سمعته





غير. أن الفجرَ حيّ في ابتسامٍ
وأرانا في مكان الكثرِ زهره
نبئت سوداءَ في لون الظلامِ
وسقاها دمعُنَا ليناً ونضّره



كلّما مرّت بها ريح الصباحِ
بعثت في الجوّ موسيقى خفيّة

وَأَيْنَا خَافَتَا مَلءَ الرِّيحِ
كَمَنْتَ فِيهِ دَمُوعَ الْبَشْرِ



أَنهَا زَهْرَتُنَا الْوَسْفَى الْحَزِينَةُ
أَمْسْنَا فِي لَوْنِهَا مَا زَالَ لَدُنَا
فَمَنْحَنَاهَا مَأْقِينَا السَّخِينَةَ
وَحَمَلْنَاهَا مَعَ الذَّكَرَى وَعُدُنَا

١٩٥٣/٨/٢١



يُحْكِي أَنَّ حَفَارِينَ

الزَّمانُ يَسِيرُ

بِدَقَائِقِهِ الْمِبْطِئَاتِ الثَّقَالِ

سَاحِباً خَلْفَهُ عَرَبَاتِ اللَّيَالِ

مُسْتَقْلَاتٍ بِأَسْرَارِهَا الدَّاكِنَاتِ

الزَّمانُ يَسِيرُ ، يَجُرُّ الْحَيَاةَ

وَهُنَالِكَ ، فَوْقَ بَسَاطَةِ الرَّمَالِ

حَيْثُ خَلَّفَتْ الْعَرَبَاتِ

أَثْرًا مِنْ خُطَايِ الْعِجَلَاتِ

لَمْ نَزَلْ نَحْنُ ، فِي كُلِّ كَفٍّ قَدُومٌ ،

لم نَزَلْ نَحْفِرُ الْأَرْضَ فِي وَحْشَةٍ وَوَجُومٍ

نَحْنُ نَبْكِي هُنَا

وَالزَّمَانُ يَسِيرُ

نَحْفِرُ الْأَرْضَ ، نَبْحَثُ عَمَّا أَضَعْنَا هُنَا

وَالزَّمَانُ يَسِيرُ



وَحْدَنَا ، وَحْدَنَا ، فِي سَكُوتٍ

صَامِتِينَ نُرَاقِبُ كَيْفَ تَمُوتُ

فِي يَدَيْنَا وَفِي مَقْلَتَيْنَا الْعُرُوقُ

وَهُنَاكَ يَنْتَظِرُ الْحَيَّ خَلْفَ التَّرَابِ

فِي أَمْسٍ وَعَذَابٍ

أَنْ يُطْلَ شُرُوقُ

أَنْ يَرَانَا أَخِيرًا بِأَعْيُنِنَا الْكَائِبَةِ

نَعْبُرُ الْهَآوِيَةِ

لنُعِيدَ إِلَيْهِ الشَّبَابَ
 ذَلِكَ الْحَيَّ فِي الظُّلُمَاتِ
 آه لو لم تَمُتْ فِي يَدَيْنَا الْعُرُوقُ
 لَنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ



«إحفر الآنَ وحدك .. ما عُدْتُ أقوى أنا .
 «إحفر الأرضَ وحدك .. إني أحسنُ الفناء
 «ملءَ كفيّ وملءَ ذراعي ، أحسنُ الرجاءُ
 «يتلاشى بعيداً وراءَ مَدَى المُسْحَقِ
 «حيث مرَّ الزمان بنا
 «منذ بضعةِ مئاتِ السنينِ
 «وغداً سيمرُّ بنا من جديدٍ
 «فيراك لوحدك تحفر في حَسْرَةٍ وحنينٍ

«سِمْرٌ وَنَحْفَرٌ أَنْتَ رَكَامُ الْجَلِيدِ»

«فِي الثَّرَى ، فِي عُروْقِي أَنَا



ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ

وَتَدِبُ الْحَرَارَةُ فِي الْجَسَدِ الْجَامِدِ

جَسَدِ الرَّجُلِ الْحَيِّ فِي قَبْرِهِ الْبَارِدِ

وَهُنَالِكَ تَحْتَ الدَّجَى مِيتَانُ

جَامِدَانِ كُلُّوْحٍ جَلِيدُ ،

وَيَمُرُّ الزَّمَانُ الْعَنِيدُ

بِهِمَا مِنْ جَلِيدِ

فَيَرَى فِيهِمَا صَاحِبَيْنِ

طَالَمَا حَفَرَا فِي التَّرَابِ

حَفَرَا فِي الضَّبَابِ

رَبَّمَا حَفَرَا فِي شُحُوبِ الْحَرِيفِ

أو عبوس الشتاء الخفيف
طلما شوهدا يحفران
يحفران ، يظللان في لفقة يحفران
وهما الآن ، فوق الشرى ، ميتان



والزمان يسير
ويجر رفاتههما في الرمال
ويرى الرجل الميت الحى يطوى الليال
شاردا مفردا
لم يعد يحتويه مكان
أو زمان
إنه قد أضاع الغدا
وتبقى له الأمس والميتان
... واستمر يسير الزمان ...

الزائر الذي لم يَجِئ

.. ومرّ المساء ، وكادَ يغيبُ جبينُ القمرِ
وكلدنا نُشيعَ ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونشهد كيفَ تسيرُ السعادةُ للهاوية
ولم تأتِ أنتَ .. وضِعتَ مع الأمنياتِ الآخرَ
وأبقيتَ كرميكَ الخاليا
يُشاغلُ مجلسنا الداويا
ويبقى يَضِجُ ويسألُ عن زائرٍ لم يَجِئْ



وما كنتَ أعلمُ أنكَ إن غبتَ خلفَ السنينِ

تَخَلَّفَ ظِلُّكَ فِي كُلِّ لَفْظٍ وَفِي كُلِّ مَعْنَى
 وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ رُؤَايَ وَفِي كُلِّ مَسْحَنِي
 وَمَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ أَقْوَى مِنَ الْحَاضِرِينَ
 وَأَنْ مَثَاتٍ مِنَ الزَّائِرِينَ
 يَضِيعُونَ فِي لَحْظَةٍ مِنْ حَنِينٍ
 يَمُدُّ وَيَجْزُرُ شَوْقًا إِلَى زَائِرٍ لَمْ يَجِيْءْ



وَلَوْ كُنْتُ جِثَّةً ... وَكُنَّا جُلُسْنَا مَعَ الْآخِرِينَ
 وَدَارَ الْحَدِيثِ دَوَائِرَ وَانْشَعَبَ الْأَصْدَقَاءُ
 أَمَا كُنْتَ تُصْبِحُ كَالْحَاضِرِينَ ؟ وَكَانَ الْمَسَاءُ
 يُمْسِرُ وَنَحْنُ نَقْلَبُ أَعْيُنَنَا حَائِرِينَ
 وَنَسْأَلُ حَتَّى فَرَاغَ الْكَرَاسِي
 عَنِ الْغَائِبِينَ وَرَاءَ الْأَمَاسِي

ونصرُحْ أَنْ لَنَا بَيْنَهُمْ زَائِرًا لَمْ يَجِءْ ؟



ولو جئت يوماً - وما زلت أوثرُ ألاَّ نجىءُ -
أَجْفَ عَيْرُ الْفَرَاعِ الْمَلُونِ فِي ذَكْرِيَانِي
وَقُصَّ جَنَاحُ التَّخْيِيلِ وَاكْتَأَبَتْ أَغْنِيَانِي
وَأَمْسَكْتُ فِي رَاحَتِي حُطَامَ رَجَائِي الْبَرِيءِ
وَأَدْرَكْتُ أَنِّي أَجَبَّكَ حُلْمَا
وَمَادَمْتُ قَدْ جِئْتُ لِحْمًا وَعَظْمَا
سَأَحْلُمُ بِالزَّائِرِ الْمُسْتَحِيلِ الَّذِي لَمْ يَجِءْ

١٦٥٢/٨/١٨

الراقصة المذبوحة

ارْقُصِي مذبوحة القلبِ وغنيّ
واضحكى فالجُرح رَقْصٌ وابْتِسامُ
إسألِ الموقى الضحايا أن يناموا
وارْقُصِي أَنْتِ وغنيّ واطمئني



أدموع؟ أسكتي الدمعَ السخينا
واعصري من صرخة الجُرح ابتساما
أنفجار؟ هدا الجُرح وناما
فاتركيه واعبدي القيدَ المُهينا

ثورة ؟ لا تُبغضى السوطَ المُلحاً
 أى معنى لاختلاجاتِ الضحايا ؟
 بعض أحزانٍ ستُنسى ، ورزايا
 وقتيلٍ أوقتيلان ، وجرحى



إقبسى من جرحكِ المُحرقِ لحنا
 رنميه بالشفاهِ الظامشاتِ
 لم تزل فيها بقايا من حياةٍ
 لنشيدٍ لم يقضِ يؤساً وحزناً



صرخة ؟ أى جحودٍ وجنونٍ !
 أتركى قتلاكِ صرعى دون دفنٍ
 واحدٍ مات ... فلا صرخة حزنٍ !
 أى معنى لانقاضاتِ السجين ؟

انتفاضات ؟ وفي الشعب بقايا
من عروقٍ لم تسَلْ نبعَ دماء ؟
انفجارات ؟ وبعض الأبرياء
بعضهم لم يسقطوا بعد ضحايا ؟



لم يكن جرحُك بدعاً في الجروح
فارقُصِي في سكرةِ الحزنِ الميت
الأرقاء الحيارى للسكوتِ
احتجاجات ؟ لماذا ؟ إستريحي !



اضحكي للمُدنيةِ الحمراء حُباً
واسقُطي فوقِ الثرى دون اختلاج
منّة أن تُذبحي ذبيح النعاج
منّة أن تُطعني روحاً وقلبا

وجنون* يا ضحايا أن ثورى
 وجنون* غصبة الأسرى العبيدِ
 أرقصى رقصة مُمتن* سعيدِ
 وابسمى فى غيطة العبدِ الأجيرِ



أستكى الجرحَ حرام* أن يثنا
 وابسمى للقاتل الحانى افتنانا
 امنحه قلبك الحرَّ المهاننا
 ودعيه ينتشى حَزًّا وطعننا



وارقصى مذبوحة القلبِ وغنى
 واضحكى فالجرحَ رقص* وابتسام
 لسألى الموتى الضحايا أن يناموا
 وارقصى أنتِ وغنى واطمئنى

١١٤٨

الشخص الثاني

لو جئتَ غداً وعبرتَ حُدُودَ الأمسِ إلى غدىِ الموعودِ
وشداً قَرَحاً بِمَجِيئِكَ حَتَّى المَعْبَرِ والبَابِ المَسْتَوْدِ
ولقيتِكَ أبحثُ فيكَ عن المتبقَّى من أَمْسِ المفقودِ
لو جئتَ ولم أجدِ المائلَ في الحانِ
وأطلَّ على رُوحِي منك الشخصَ الثاني

●

الشخص الثاني ، من أعماقِ شُهُورِ التيهِ المَطْمُورِ
حاكته دقائق تلك الأيامِ الجانيةِ المَغرُورِ

وترسبَ في عينيه تَناقُلُها ورؤاها الملعوره
وسأبحث فيكَ عن الماضي في اطمئنانٍ
فيفاجيءُ لَهْفَيَ الحرى الشخصُ الثاني



وهناك على الوجه الحساس الحى الصمتِ أرى ظليتين
ومكانَ الواحدِ في عينيكَ المرهفتين أحس اثنتين
ويقابلنى الشخصانِ معاً وسُدَى أرجو فصلَ الضدين
وسأسال عَمَّا خَلَفَهُ لى عامان
من وجهك، والردّ جبينُ الشخصِ الثاني



وسيسكن هذا الشخصُ الثاني الأحمقُ حتى في البَسَمَاتِ
سيمدُّ برودته في رقّةِ صوتك ، في لين التبرّاتِ

وسير متقني في خُبثٍ ، مخْتَبِئاً حتى خلفَ الكلماتِ
ولمن أشكو هذا المخلوقَ الشيطاني
والأول فيكَ محتمه يد الشخصِ الثاني ؟

١٩٥١/١٠/٩



عندما قتلت حبي

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مقبى أناجيهِ
وأسقيهِ دماءَ غدى وأغرقِ حاضري فيهِ
وأطعمه لظى اللعناتِ والثورةِ والنقمةِ
وأسمعهُ صُراخَ الحقدِ في أغنيةِ جَهَنمهِ
ومن إغفاءة الموتى أغذّيه
وأثرِ حوله الأشباحَ والظلمه



وأبغضتُ اسمكَ الملعونَ والاصدءَ والظلا

كرهت اللون والنغمة والايقاع والشكلا
وتلك الذكريات الحشنة المقوطة الفظه
هوت وتأكلت وثوت مع الآباد في لحظه
وعدت قصيدة فجرية جددلى
وقلت الأمس ما عاد سوى لفظه

وتم النصر لى وهوت تمثالا الى الهوة
وجئت لأدفن الأشلاء تحت كآبة السروه
وراح الرفش فى كفى يشق الارض فى نههم
فلامس فى الثرى جسدا رهيبا بارد القدم
ورحت أجره للضوء مزهوه

فمن كان ؟

بقايا جثة الندم

وكان الليل مرآة فأبصرت بها كثرهمي
وأمسي الميتَ لكنني لم أعر على كُنْهِي
وكنت قتلْتُكَ الساعةَ في ليل وفي كأسِي
وكنت أشيعُ المقتولَ في بَطْنِ الرَّمْسِ
فأدركت ولونُ اليأس في وجهي
بأنني قطّ لم أقتل سوى نفسي

١٩٥٢/٥/١٢

لحن النسيان

لَمْ يَاحْيَاهُ

تَنَوَّى عَذُوبَتَكَ الطَّرِيقَةَ فِي الشِّفَاهُ ؟

لَمْ ، وَارْتِطَامِ الْكَأْسِ بِالْفَمِ لَمْ يَزَلْ

فِي السَّمْعِ هَمْسٌ مِنْ صَدَاهُ ؟



وَلَمْ الْمَلَلُ

يَبْقَى يُعَشِّشُ فِي الْكَثُورِ مَعَ الْأَمَلِ

وَيَعِيشُ حَتَّى فِي مُرُورِ يَدَيِ حُلُمِ

فوقَ المباسمِ والمُفَلِّ ؟



ولمَ الألمُ

يبقى رحيقَ المذاقِ ، أعزَّ حتى من نغمٍ ؟
ولمَ الكواكبُ حينَ تغربُ في الأفقِ
تفترَّ جلالتى للعدمِ ؟



ولمَ الفترقُ

يحبسنى على بعضِ الجباهِ مع الارقِ
وتنام آلافُ العيونِ الى الصبحِ
دون انفعالٍ أو قلقٍ ؟





ولمَ الرِّياحُ
 لمْ تدرِ حتى الآنَ أنْ لَنا جراحُ ؟
 لمْ تدرِ كم حَمَلَتْهُ من مَلَحِ البَحارِ
 بلحراحنا هِى والنّواحُ ؟



ولمَ النّهارُ
 ينسى بأنْ مداماً حرى غزارُ

تأبى التآلقَ في الحفونِ المُشخَّنة
وتودّ لو هبط الستارُ ؟



والآزمنة

كم ذكرياتٍ كم فواجعٍ مُحزنة
ضمتْ صحائفُها وكم رقدَ الترابُ
فوقَ الخُدودِ اللَّينة



ولم الغيابُ

يفتنّ في رشّ الحَمالِ على هضابِ
تعدّتْ ، على كلِّ الوجوهِ الغامضاتِ
خلف المرامي والشعابِ ؟



والأغنيات

أواه لو كانت تعيش مع الحياة
وتنظّل نابضة وإن نسي الغرام
ولحنه المتنهّات

١٦٧/١/١٧

الولايات المتحدة

كلمات

شكوت الى الريح وحدة قلبي وطول انفرادي
فجاءت معطرةً بأريج ليالى الحصادِ
وألفت عيرَ البنفسجِ والوردِ فوق سهْدي
ومدتْ شداها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وروت حنّني بنجوى غديرٍ يُغنى لوادِ
وقالت : لأجلكِ كان العيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئت الوجودَ الجميلُ

نفيم العويل ؟

وصدقتُها ثم جاءَ المساءَ الطويلُ
 وسادَ السكونُ عُبابَ الظلامِ الثقيلِ
 فسألتُ ليلي : أحقُّ حديثُ الرياحِ ؟
 فردَّ الدُّجَى ساخرَ القَسَماتِ :
 « أَصَدَقْتِهَا ؟ إِنَّهَا كَلِمَاتٌ . »



وَأَصْغَيْتُ فِي فَجْرِ عَمْرَى إِلَى أَغْنِيَاتِ الْبَشَرِ
 وَشَارَكْتُهُمْ رَقَصَهُمْ فِي سُحُوبِ لَيْلَى الْقَمَرِ
 وَغَنَيْتُ مِثْلَهُمْ بِالْسَعَادَةِ ، بِالْمُنْتَظَرِ
 بِشَيْءٍ سَيَّأَى ، بِبُوتُوبِيَا فِي سَنِينِ أُخَرَ
 وَآمَنْتُ أَنَّ حَيَاةَ بِلُونِ النَّدَى وَالزَّهَرِ
 سَتَمَسِّحُ أَيْمَانَنَا الْمُشْقَلَاتِ بِعَبِّ الضَّجَرِ
 وَقَالُوا لَنَا فِي أَغَارِيدِهِمْ إِنَّا خَالِدُونَ
 خُلُودَ الْقُرُونِ

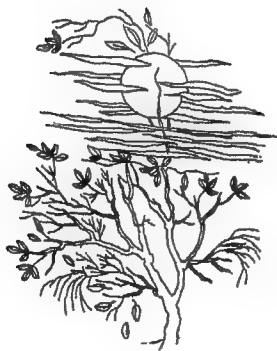
وصدقْتُهُمْ ثُمَّ جَاءَ الْمَسَاءُ الصَّدِيقُ
 يَجْرُ سِلَاسِلَتُهُ فِي جَمُودٍ وَضِيقٍ
 فَسَاءَلْتُهُ : أَهَوْ حَقُّ هَتَافِ الْبَشَرِ ؟
 فَحَدَّثَنِي بِصَائِحَاتٍ : « يَا فَتَاهُ !
 أَصَدَقْتِهِمْ ؟ إِنَّهَا كَلِمَاتٌ . »



وَكَمْ مَرَّةٍ جَدَلَ الْعَاشِقُونَ الْأَمَانِي الْوِضَاءُ
 وَكَمْ عَصَرُوا فِي كَثُوسِ التَّخِيلِ شَهْدَةَ الْوَفَاءِ
 وَرَاحُوا عَلَى حُبِّهِمْ يُشْهَدُونَ نَجْمَ السَّمَاءِ
 وَوَقَعَ النَّدَى فَوْقَ خَدِّ الصَّبَاحِ ، وَصُمْتُ الْمَسَاءُ
 وَكَمْ أَقْسَمُوا بِالْهَوَى أَنْتَهُمْ أَبَدًا أَوْفَاءُ
 وَأَنَّ الْوُجُودَ يَمُوتُ وَحُبُّهُمْ لِلْبَقَاءِ
 وَقَالُوا : هَوَى وَاحِدٌ خَالِدٌ يَتَّحِدُنِي الْعَدَمُ
 وَيَرْضَى الْأَلَمُ

وصدقتهم ثم جاء المساء اللطيف
 هنالك ذات دجى من أماسى الخريف
 وساء لثته أهنى حق روى العاشقين ؟
 فغمغم مستهزئ النـسـبرات
 أصدقتهم ؟ إنها كلمات .

١٩٥٢/٥/٢٨



السلام المنهار

استرحنا ، كُشِفَ اللُّغْزُ وماتَ المُبْهَمُ
وتلاشت حُرْقَةُ الأحلامِ في لونِ العيونِ
استرحنا ، هدا الشوقُ وواراهُ السكونُ
استرحنا نحنُ ، وارتاحَ الزمانُ النهمُ
وغداً ينهزم الماضي بعيداً
وترى أعيننا شيئاً جديداً



الشفاه الزرق في أوجهنا الآن ستصفو
من جليده ، فلقد ذاب الهوى عند الشروقِ

والعينون المشفلات الصمّتِ بالسُّهْدِ العميقِ
ستنام الآنَ لا يوقظها حبٌّ وعُنفٌ
وغداً يعرف قلبانا بأننا
قد دفننا الحبَّ حيّاً وانتهينا



والعُروقُ المُلتهَباتُ الدمِ قد حانَ كَرّاها
حسبُها ما جلجل الإعصارُ في أعماقها ،
وزهور الحُلُمِ لم تسكُبْ على أوراقها
أى لونٍ ، إنها ماتت ولن يجيئاً شداها
هدأ القلبانِ ، لا تخشَ ارتعاشا
مات عِرْقُ الحبِّ فينا وتلاشى



وأفقنا وانتهى الشئُ الذى خيلناه حبا
وتبقتْ حولنا الذكرى التى تسخرُ منا ،

من خيالاتٍ صغيرَيْنِ بدا نجمٌ فظنّا
 أنْ في وسعهما أن يُمسكاهُ فاشربا
 لحظةً ، ثم تهاوى السُّلَمُ ،
 في بُرودٍ ، وتلاشَى الحِلْمُ



سرّ يميناً أنتَ واتركتى أمر وحدى شِمَالاً
 فمن المضحكِ أن نبقى هنا كالغُرَباءِ ،
 تصرخ الوحيدةُ في أعيننا دونَ انتهاءِ
 ويرشُ الصمتُ لُقَيَانَا بُروداً ومَلَلًا
 حسبنا أنّا أضعنا ما أضعنا
 من زمانٍ ، فلنَعُدْ من حيث جئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلًا للعار

« أمّاه ! » وحشّرجةٌ ودموعٌ وسوّادُ ،
وانبجسَ الدمُ واختلجَ الجسمُ المطعونُ
والشعرُ المتموجُ عششَ فيه الطينُ
« أمّاه ! » ولم يسمّعنها إلا الجلاّد
وغداً سيّجىءُ الفجرُ وتصحو الأورادُ
والعشرون تُنادى والأملُ المفتونُ
فتُجيبُ المرّجةُ والأزهارُ
رحلتُ عنا ... غسلًا للعارُ



ويعود الجلاّد الوحشُ ويلتقى الناسُ
 «ألعار؟» ويمسحُ منديتَه «مزقنا العار»
 «ورجعنا فضلاء» ، يبيض السُّمعةِ أحرارُ ،
 « يارب الحانة ، أين الخمر؟ وأين الكاس؟ »
 « نادِ الغانية الكسلى العاطرة الأنفاس »
 « أفدى عينَيها بالقرآنِ وبالأقدار »
 إملأ كاساتك يا جزائر
 وعلى المقتولةِ غسلُ العارِ



وسيأتى الفجر وتسال عنها الفتيات ،
 « أين تراها ؟ » فيردّ الوحش « قتلناها »
 « وصمةٌ عارٍ فى جبهتنا وغسلناها »
 « ومتحكى قصتها السوداء الجارات »
 « وسترونها فى الحارةِ حتى النّخلات »

حتى الأبوابُ الخشبيَّةُ لن تنسُها
وستهمسُها حتى الأحجارُ
غسلًا للعارِ ..

غسلًا للعارِ ..



« يا جاراتِ الحارةِ ، يا فستياتِ القريةِ »
« ألخيزُ سنعجنهُ بدموعِ مآقينا »
« سننقصُ جدائلنا وسنسلخُ أيدينا »
« لتظلّ ثيابُهُم بيضَ اللونِ نقيه »
« لا بسمّةَ ، لا فرحةَ ، لا لفتةَ فالمُدّةِ »
« ترقُبُنَا في قبضةِ والدنا وأخينا »
« وغداً من يدرى أيُّ قِفارِ »
« ستُوارينا غسلًا للعارِ ؟ »

١٩٤٩/١١/٣٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السَّوادِ
ولم يَبْقَ إلا ضبابٌ خفيفٌ يُلْفِ الوهادِ
ويجلسُ مكتئباً في عيونٍ طواها السُّهادُ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرحلةِ القادمة
إلى أفقٍ كوكبي السُّورِ
يَمُدُّ جنورُ

وراء مسالكنا القاتمة



سَرَحَلْ فَالْأَنْجُمُ الْوَامِقَاتِ تُشِيرُ لَنَا
 أَصَابِعُهَا اللَّذَنَةُ الْمُخْمَلِيَّةُ فِي دَرِينَا
 تُطَرِّزُ كُلَّ غَسَدٍ قَادِمٍ بِخِيوطِ الْمُنَى
 تَقُودُ خُطَانَا خِلَالَ الشَّعَابِ الطَّوَالِ الْمُضِيضَةِ
 سَرَحَلْ بَعْدَ زَمَانٍ قَصِيرٍ
 وَعَصِيرٍ صَغِيرٍ

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَيْلِنَا غَيْرُ وَمَضَى



وَمِنْ سَنَوَاتِ الْإِسَارِ الْمَمْزُوقِ ، مِنْ أَلْفِ ظُلُمَةٍ
 تَلَفَ مَدَى أَسْوَدًا لَا تَمَسُّ دِيَابِجِهِ نَجْمُهُ
 سَتَبْدِلُنَا حَافَةَ الْكَأْسِ قَطْرَةَ حُبٍّ وَبَسْمَهُ
 وَتَحْمِلُنَا عَرَبَاتِ الْكَوَاكِبِ عَبْرَ الْحُزُونِ

وراء بحار الندى والظلال

وحيث الجمال

يُمسس ويشربه المتعبون



وداعاً صَحَارَى العويل فقد حان فجرُ السنين

وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلين

عَطِشْنَا طويلاً وكانت كئوسُكِ مَلأى أُنينَ

ينوح الفراغُ عليها وموكبُنَا الباحثُ

تجرع حتى كئوسَ الدموع

ونارَ الضلوع

وجنُّ به شوقه اللاهث



وفي الغد ، من بعدنا ، إن أطلَّ جبين القمر

ولامسَ ضوءُ النجومِ النشاوى خريزَ النهار

ورنّ مع الليل صوتٌ بعيدُ الصّدَى واندثر
كما رنّ ، يسأل عنّا وأين رمثنا البحورُ
فقلّى له إنّا لن نعود
لأرضِ القيودِ

فقد أشرق الفجر منذ عصورُ

١٩٥٠/٨/٥

الخبيّة

عُدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ الطَّرِيقُ

طَرِيقَنَا الْأَوَّلَا

وَالْجُهْدُ لَمْ يُبْقِ لَنَا مِنْ بَرِّقٍ

خَلْفَهُ الْأَمْسُ النَّصِيرُ الْوَرِيقُ

عَبْرَ الرُّؤْيِ مُشْتَعَلَا



عُدْنَا وَأَلْفِينَا الرُّبَا وَالْحَقُولُ

كَمَا تَرَكْنَاهَا

الشمس ما زالت تُغذّي السُّهولُ
يتبعها الليلُ البطيءُ الكسولُ
يُحَوِّ بِقاياها



والناس ما زالوا هنا يزرعونُ
ويَحْصِلُونَ الهُومُ
الشمسُ تدرى أَنَّهُمْ يَغْمِسُونَ
ذُنُوبَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُرُونِ
وَيَرْمُقُونَ النُّجُومَ



ونحن ما زلنا كما كنا
أولئك الحَمَقَى

الليل يمضي ساخراً منا
والفجرُ يَروى للدجى أنسا
نُشربُ ما نُسقى



وأمر في القافلةِ الراحله
سرنا مع السائرين
نقطع آلافَ الرقي الساحله
وعندما أُرست بنا القافله
بعد انصرام السنين



جُنّت بنا خيبتنا وانطوى
ما كان مأمولا

وهلّا لنا عبء الأسى والجوى
فهذه خلف الربا والهوى
بُقْعَتُنَا الأولى

١٦٥٢/١/٥

أَسْطُورَةُ عَيْنَيْنِ

عَيْنَانِ طِلَّسَمٌ وَلُغْزٌ أَصَمٌ
يَحَارُ فِي تَفْسِيرِهِ التَّاهُونَ
غِيَابٍ مِنْ عَهْدٍ سَحِيقِ الْقَدَمِ
وَضَفَّتَا شَطْ طُوتَهُ الْقُرُونُ



عَيْنَانِ لَوْنٌ نَابِضٌ مَسَاخِنُ
شَيْءٌ مِنَ الشَّرْقِ لِلذِّيدِ الْفُتُورِ
وَفِيهِمَا الْعَرَافُ وَالْكَاهِنُ
وَمَعْبَدٌ مَخْدَرٌ بِالْبَحُورِ



عينانِ أمْ مزارعُ في الظلالِ
تَرْقُرُقُ العبير في الأودية ؟
وهُدَّ بها أم رعدة البرتقال ؟
أم نجمةٌ تخفق ؟ أم أغنية ؟



عينانِ أم عوالمُ شاسعة ؟
وبؤبؤُ أم دعوةٌ للرحيل ؟
بابٌ إلى يوتويسا ضائعة
ومعبرٌ يُنْهَى إلى المستحيل



وفي مطاويها وسَاد الحُلُمِ
ومن حواشيها ارتواء الوترِ
عينانِ ما كاد يعيها النغمُ
حتى دعا أشواقه وانفجر



وذلك العمق الذي لا يُحَدُّ
يحمل لرائين سرَّ الظلم
أحسن فيه لا انتهاء الأبد
وموكب التاريخ منذ ابتداء



يرَوون عنها أن أغوارها
ذوبُ نجومٍ أطفأتها السنين
وأن من أدرك أسرارها
فكَّ الرّدَى عنه الإِسارَ المُهين



وأنها ، كما رَوَى آخرون ،
بقيّةٌ من أعين آفله :

عينا (ملوزا) أفرغَ السّاحرون
ما فيهما من قوّةٍ قاتله



ستلبث العينانِ سرّاً بعميق
وينزع الراونَ أرضَ الخيال
أسطورةٌ تظّلُ سكرى البريق
ما بقيَ الشعرُ وعاشَ الجمال

الوصول

سأحبّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحي عصُورُ
ملأى بألوانِ الخيالِ
وهناك في أحنائها ألقى الجمالِ
وعوالمًا نجميّةً الإشراقِ مُسكرةً العطورِ
وهناك كم لونٍ ترسّب في كثومِ الذكرياتِ
كم قصّةٍ نامتْ وغطتْ سرّها خلفَ الشُعُورِ
كم خطفةٍ من طيفٍ حُبٍّ عاش حيناً ثم ماتِ
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ ، عند ما كان المساء
مثاقلاً نعباناً ، في بعض القرى

وأنا أغتنيها وأرقب في ارتخاء
ظل النخيل على الشرى .



سأحب نفسي ، في صفاء ظلالها أجدهُ الصفاء
طال التغربُ والتلالُ تلوّنت بدم الغروب
حتى النهارُ أوى إلى سرُّرِ المساء
لم يبقَ جوالٌ سواي أنا وقلبي في السهوب
لم يبقَ إلّا أنا وآهاتُ المداخن من بعيد
وكأبةُ الليلِ الجديد



ولقد وصلنا . ها هنا يحيا الجمال ،
والدفء ، والشمسُ الأنيقة ، والسكون ،
والإمتدادُ وعالمٌ يتسعُ القُرُونُ

بمجرّ من الألوان بِمُخْلَقُهُ الْخِيَالُ
وَتَمُوجُ فَوْقَ مَدَاهِ آلاَفِ الظِّلَالِ



يَا صَمْتَ نَفْسِي عَدْتُ عَدْتُ إِلَيْكَ بَعْدَ سُرَى سَنِينَ
ضَاقَتْ بِتَطَوُّافِي الْبَحَارِ
وَشَكَا النَّهَارِ

مَا حَمَلْتُهُ رَوَايَ مِنْ عَبْءٍ الْحَنِينِ
لَمْ أَلْقَ غَيْرَكَ لِي نَصِيرَا
فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْمُضِيلِ
فَافْتَحْ لِي الْبَابَ الْأَخِيرَا
دَعْنِي أُمُرْ

... أَنَا وَظِلِّي ...

١٩٥١/٢/٦

الولايات المتحدة

أغنية لشمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرفقَ في لَمَسَاتِ الرِّيحِ
ولفّي جداولكِ الشُّقْرَ حولَ الفِجَاجِ الفِصَاحِ
وهذا التحرقُ في شفتَيْكَ أريقُ لظَاهِ
على طبَّقاتِ الثلوجِ الكثيفةِ فوقَ المِياهِ
أذيبُ بها قَطَرَاتِ الجَلِيدِ
عن العُشْبِ ، عن زهرةٍ لا تُريدُ
فراقَ الحِياهِ
فما زال فيها رحيقُ تَجَبُّهُ للصباحِ



ومن دفع عيناك من ضوء هذا الجبين السعيد
أريق عصير البنفسج فوق الفضاء المديد
ومن لون هذى الجدائل رشي ازرقاق الأثير
وصبي البريق الملون فوق مرايا الغدير
ومن عطر هذا الضياء المذاب
أريق على صفحات الضباب

ربيعاً نصير
يحيل البرودة فيه إلى دفء حب جديد



أصابك الدافئات المروير اضغطي شعرها
وأحلامها فوق زهرة قل طوت سرها
ونامت ملفعة بجليد المساء القريب
تنوب اشتياقاً لضوئك ، للحب ، للعندليب

أُطْلِيَ بِوَجْهِكَ فِي سَجْنِهَا
فَقَدْ جَمَدَ الشَّعْرُ فِي لَوْنِهَا
وَعَادَ شُحُوبُ
تَسْأَلُهُ هَمَسَاتُ الْعَصَافِيرِ عَنْ سَحَرِهَا

•
وَرَوْحِي الَّذِي رَسَبَتْ فِي مُنَاهِ ثُلُوجُ الْمَلَالِ
وَلَاذِ بَزَاوِيَةِ جَهَنَّمَ مِنْ زَوَايَا الْخِيَالِ
دَعِيهِ يُعَانِقُكَ سَكْرَانٌ مِنْ وَهْجِ هَذَا الْبَرِيقِ
وَيَشْرَبُ يَشْرَبُ هَذَا الضِّيَاءَ وَلَا يَسْتَفِيقُ
يَفِيضُ عَلَيْهِ سَنَاكَ الْخُنُونِ
وَيُرْسِلُهُ شُعْلَةً مِنْ جَنُونِ

وَلَحْنًا رَفِيقُ
نَلَرْتُ مَقَاطِعَهُ لَعْدُوِيَّةَ هَذَا الْجَمَالِ

دعيني ! هنا لا أحس سوى روحك الشاردة
تُقبَل شَعْرِي ، وتُدْفِنُ أحلامي الباردة
هنا أنتِ ، بنت حقول الخُثوب وألوانها
قَبَسَتِ العذوبة والدفءَ من سحر غُدْرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك ، وهمسك شللو الرعاة

لقُطْعانها

دعيني ! فأنتِ الإله هنا وأنا العابده



ومن أجل عينيكَ هاتينِ حيث يعيشُ الأبدُ
أعيشُ أُوْرِّخُ كالأخريينَ بأمرٍ وغدٍ
وكالأخريينَ أعيش أجراً قيودَ المكان
وأحملُ فوقَ جيني عبءَ الدجى والدخان .

لعينيكِ أرشفُ كأس الغيومِ

وأعبر ليلاً جفته النجومِ

وأطوى الزمانِ

مكبلةً بالأسى الآدمي وقيدِ الجسدِ



ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجِ

وجفت رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللجوجِ

ولولاكِ ما كان أحسنَ مسَ الفضاءِ الرهيبِ !

وهذى النعومةُ ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبُ

ألواهُ كان يعيشُ الخيالُ ؟

ومن ذا يوسدُ خلةَ الجمالِ ؟

ومن ذا يُذيبُ

بريقَ الحرارةِ في مسرورةِ جمدها الثلوجِ ؟



ولولاك أين إذنٌ يستحمّ جينُ السلام ؟
 وهذى المشاعرُ أين تصبّ ؟ وأين تنام ؟
 وبعضُ العيون التي جمعت الف حُلُمٍ عُالٍ
 وقد نضجت خلف أهدابها نغماتُ الجمالِ
 دعيها تُرقّ عَسَلَ الأغنياتِ
 دعيها تُرقّ عَسَلَ الأغنياتِ
 فلولاكِ سدتْ عليها الحياهُ

رحاب الخيال

ولولاكِ ما وجدتُ سامعاً غيرَ برّدِ الظلامِ

١٩٥٢/١/٢٨

بِتَايَا

مُرَّ بِي إِنْ شِئْتَ مَسْرُوقَ الرُّؤْيِ مَيْتَ النُّشِيدِ
مُرَّ ، فِي نَفْسِكَ أَعْمَاقٌ مِنْ الصَّمْتِ الْبَلِيدِ
حَامِلًا وَجْهَ أَبِي هَوَلٍ جَلِيدِ
سَاحِبًا أَعْبَاءَ قَلْبٍ مِنْ جَلِيدِ
كُنْ ، إِذَا شِئْتَ ، بَلَا طَعْنٍ ، خَرِيفِيًّا ، مِمْلًا
آه لَكُنْ ... أَلْتَقِ ظِلًّا .



وَلَتَكُنْ عَيْنَاكَ أَفْقًا فَارِغًا دُونَ ضِيَاءِ

تملآن الكونَ ضِحْكًا فارغاً ، كالأغبياءُ
 أبداً لم تُدركا معنى البكاء
 وانطباقتَ الجفْنِ فوق الكبرياءُ
 لتكنْ عيناكْ خلواً أفقُها من كلِّ معنى
 آه لكن ... ألقِ لونا .



وليكنْ ماضيكْ قد ماتَ ووارثه السنينْ
 ليكنْ أصبحَ في حُضْنِ الثرى اكدماسَ طينْ
 ليس في قلبك عِرْقٌ من حنينْ
 ليس الا بعضُ إحساسٍ مُهينْ
 ليكنْ حبكْ قد فات مع الأمسِ ومراً
 آه لكن ... أبقِ ذكرى .



وليكنْ ظلّ الغدِ القادم موتاً وظلاماً
لنكنْ نحن سنُمنّي فيه جرحاً وحُطاماً
وفمُ الأحداثِ يمتصُّ العظاماً
ثمّ يُلقيها على الأرض رُكاماً
ليكنْ لونُ الغدِ الآتي ضيَاباً مُدْهِماً
آه لكن ... أبقى حلماً



إن يكنْ قد كُشِفَ الغُزُّ عن الأُمسِ المُهانِ
وبَدَتْ فيه الأساطيرُ ولاحَتْ للعيانِ
إنجلي ما سترتْ كَفَ الزَّمانِ
عن كيانِ خَرِبٍ دونَ كيانِ
ليكنْ عادَ وضوحاً دونَ ظلٍّ وتعرّى
آه لكن ... أبقى سرّاً





لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمتٍ أليمٍ -
 مزقتُ حللهم صباهُ نعمةُ الجرحِ القديمِ
 فمضى يلعنُ آفاقَ النجومِ -
 وينديب الليلَ أقداحَ السُّمومِ -
 لتكن هدمتُ ، لم تستبقِ في صدركَ حياً
 آه لكن ... أبقِ قلباً



نحن ضيَّعنا طريقَ الغدِ في الليلِ الرهيبِ
ونسينا راحةَ القلبينِ في الأَمسِ القريبِ
أصغِرْ لم يبقَ سوى همسِ الذنوبِ
في سكونِ الكونِ ، في الليلِ الرهيبِ
فخذ الكأسَ اذا شئتَ ومزق ما تبقى
آه لكن ... أبقى عرقاً
أبقى عرقاً .

١٩٤٩/٤/١٥

ساعة الذكرى

هذه ساعة التذكير ، كاد الـ
ليل يبكي معي ويصغي مليا
إنها ساعة التذكير ، والأجـ
سراس تطوي كآبة الصمت طيا
وأحس* الخطأ تمر حيارى
خلف بابي كما مررن مرارا
وأحس* الوجوه هبت من الما
ضى وعادت مملوءة أسرارا
الخطأ والوجوه* أسمعها ، أـ
مسحها في اللجى تحديق فـيا

الخُطَا والوجوه يا ساعة الذِّكْرِ
 رى وقلبٌ طَغَى أساء وثارا
 خلفَ بابي يَمُرُّ بي موكبُ الأشْـ
 سباحٍ يستصرخ الدموعَ الغزارا
 الخُطَا والوجوه من عمقٍ ماضٍ
 خلته عاد غابراً مَطْـسُوتَا
 وحنين الأصداء يشفق خلف الـ
 سبابِ في موكبٍ عميقٍ السكونِ
 ضَحِكَاتٌ مبتورةٌ تلزع الظلُ
 سمةً والصمتَ في جمودٍ حزينِ
 ودموعٌ في أعينٍ أقفلَ التـ
 ريخ أهدأها على ألفِ سرِّ
 وعروقٌ تضيحُ خلفَ ليلِ
 شردت في الزمانِ دون مقررٍ

وشفاهُ أَمَاتَ أَلْفَاظَهَا الصَّمَمُ
 ست سوى رعشةٍ وبعض أنينٍ
 وجدارٌ عطشانٌ تعصره الشم
 منْ وذكري الظلتينِ أعنفَ عَصْرِ
 وزمانٌ أفتُ مواعيدهُ الفَو
 ضى وأبقتَه في شرودٍ وذعر
 ودروبٌ يكاد يصرخ فيها الظ
 —لٌ شوقاً لعابرٍ مفتونٍ
 ومرور الأشباح يشهق خلف ال
 سبابِ في همسةٍ ترنٌ طويلاً
 موكبٌ شاحبٌ شحوبَ غديٍّ ما
 زال لُغْزاً وعالماً مجهولاً
 موكبٌ كل خطوةٍ من خطا أش
 سباحه رعشةٌ على شَفَتَيْهَا

كل وجه يعود في عمق نفسي
 زمنًا كاملاً عميقاً خفياً
 في ظلام الذكرى أمدة ذراعي
 (م) لعل الأشباح تدنو قليلاً
 في ظلام الذكرى ، وأفتح بابي
 لأرى الموكب الحزين ملياً
 في ظلام الذكرى ، وأدفع كفي
 في جنون عسائ المس شياً
 فأحس الفراغ في جسده الأش
 —باح أننى أصفح المستحيلاً؟

١٩٤٩/٤/١٢

هل ترجعين؟!

« قصيدة نظمها لعمتي

التي توفيت سنة ١٩٤٨ »

ما زالت الذكرى تَضِجُ وراء إحسامي الدفين
إن نمت ألحها تسير معي يُجَسِّدُها الحنين
تأويته التي بها الماضي إلى شطى الحزين
معصوبة بعُروقٍ أحلامى الحبيساتِ الرنين



إن نمت ألحها فتصرخ لهفتى : هل ترجعين ؟
هل ترجعين إذا حَلَمْتُ بما مضى ؟ هل ترجعين ؟



ما زالت الذكرى تضجّ ، ولم أزلْ في أسرها
ما زلت ، تنطقُ ابتساماتي لمعبرٍ ذكرها
يتقاسم الليل الصديق معي حرارة جمرها
وتظّل تحفر في عروقي الواهاتِ بظُفْرِها



عطشي ، أراكِ ولا أمسك ، أين أنتِ ؟ أسمعيني ؟
وإذا دعوتكِ من خلال مدامعي ، هل ترجعيني ؟



الشوق يعصرني إليكِ ويطنّي المرحَ الكذوبِ
يغتال أفراحي ويُسلم كلّ ضوءٍ للغروبِ
إني أموتُ نحرّاً وتعطشاً ، إني أذوبُ
لم يبقَ إلا رجوعُ أصداءِ يكفّنها الشحوبُ



عرّفتُ بها روعي المشوّقة بعض تذكارِ السنينِ

فصرختُ في ألمٍ خريقيَّ البدى : هل ترجعين ؟



والشوقُ للموتى سَهَادٌ ليسَ يَشْفِيهِ الضياءُ
الشوقُ للموتى جراحٌ ليس يقربُهَا شِفَاءُ
أبكى ؟ أذوبُ ؟ سُدَى ! فبعضُ النارِ يأبى الانطفاءُ
بعضُ التعطشِ مستحيلٌ أن يطوفَ به ارتواءُ



يبقى يمزقنى وأنتِ بعيدةٌ لا تُسدِّدِ ركينُ
وأنا انتفاضٌ صارخٌ فى حَسْرَةٍ : هل ترجعين



وأنا أعدُّ الذكريات وأرقُبُ الزمنَ الكَسُولُ
يمشى على عكازتَيْنِ من الكآبةِ والذهولِ
يمشى ويحصى ما على وجهى المقنع بالذبولِ

والصمتِ من صُورٍ تموت وأنجم يديّ الأفول*
وأنا ؛ وأحلامي ، وقلبي ، قصةٌ لو تعلمين*
مازلت أحكيها وأصرخ في الدجى : هل ترجعين ؟

١٩٤٨/٣/٩



صلاة الأشباح

تململت الساعةُ الباردة
على البرج ، في الظلمة الحامدة
ومدتْ يداً من نُحاسٍ
يداً كالأساطير بوذا يحرّكُها في احتراسٍ
يدَ الرَّجلِ المنتصبِ
على ساعة البرج ، في صمته السرمديّ
يحْدقُ في وجْهة المكتتبِ
وتقذفُ عيناهُ سبيلَ الظلامِ الدَجِيّ
على القلعةِ الراقدة

على الميتين الذين عيونهم لا تموت
تظل تحدق ، ينطق فيها السكوت
وقالت يده الرجل المنتصب :
« صلاة ، صلاة ! »



ودبت حياه
هناك على البرج ، في الحرّس المشّعين
فساروا يجرّون فوق الثرى في أناه
ظلالهم الخانيات التي عقفستها السنين
ظلالهم في الظلام العميق ، الحزين
و عادت يده الرجل المنتصب
تُشير : « صلاة ، صلاة ! »
فيتمترج الصوت بالضجّة الداويه ،

صدّى موكبِ الحرّسِ المقربِ
 يدقّ على كلّ بابٍ ويصرخُ بالنائمين
 فيبرّزُ من كلّ بابٍ شبحٌ
 هزيلٌ شحِبٌ ،
 يجرّ رمادَ السنين ،
 يكاد الدُّجى ينتحبُ
 على وجهِهِ الجُمُجُمى الحزين



وسار هنالك موكبُهُمْ فى سُكونٍ
 يدبّون فى الطُرقاتِ الغريبةِ ، لا يدركون
 لماذا يسرون ؟ ماذا عسى أن يكون ؟
 تلوت حوائثهم ظلماتُ الدروبِ
 أفاعى زاحفةٌ ونُيُوبُ

وساروا يجرّون أسرارَهُمْ في سُحُوبٍ

وتهمّسُ أصواتهم بنشيدٍ رهيبٍ ،

نشيدِ الذينَ عيونُهُمْ لا تموتُ ،

نشيدِ لَذاكَ الإلهِ العجيبِ

وأغنيةٌ ليدَ الرَّجُلِ المنتصبِ

على البرجِ كالعنكبوتِ

يدٌ من نحاسٍ

يحرّكها في احترامٍ

فترسلُ صيحتها في الدياجي

، صلاةٌ ، صلاةٌ ،



وفي آخرِ الموكبِ الشَّبَحَى المُخِيفِ

رأى حارسٌ شَبَحَيْنِ

يسيرانِ لا يُدركان متى كنَ ذاك وأين ؟
تَحُزُّ الرِّيحُ ذراعيهما في الظلام الكثيفُ
وما زال في الشَّبَحينِ بقايا حياه
ولكنَّ عينيَّهما في انطفاء
ولفظُ « صلاة » ، صلاه
يفصحُ بِسَمْعَيْهِمَا في ظلام المساء



« أَلَسْتَ تَرَى »

« نَحْنُ هُمَا ! »

ثم مَاد السكون العميق
ولم يَبْقَ من شَبَح في الطريق



وفي المَعْبَدِ البرَّهَمَى الكبير

وحيثُ الغموضُ المُشيرُ
 وحيثُ غرابةُ بوذا تُلَفّ المكانُ
 يُصَلّي الذينَ عيونُهُم لا تموتُ
 ويرتقبُهُم ذلكَ العنكبوتُ
 على البرجِ مستغرقاً في سكوتٍ ،
 يشيرُ بكفّيه ملءَ المكانِ
 فيرتفعُ الصوتُ ضخماً ، عميقَ الصدى ، كالزّمانِ
 ويرتجفُ الشّبّاحانُ



» من القلعةِ الرطبةِ الباردة
 » ومن ظُلُماتِ البيوتِ
 » من الشّرفِ الماردهِ
 » من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتِ

« تشيرُ لنا في سكوتِ
 « من الطرقاتِ التي تَحْمِلُكَ الظُّلْمَةُ الصامته
 « أتيناكَ نسحبُ أَسْرَارَنَا الباهته
 « أتيناكَ ، نحن عبيدَ الزمانِ
 « وأَسْرَاهُ نحن الذينَ عيونُهُمْ لا تموتُ
 « أتيناكِ نَجْرُ الهوانِ .
 « ونسألكَ الصَفْحَ عن هذه الأعينِ المُذنبه
 « ترسبَ في عُمقِ أعماقها كلُّ حزنِ السنينِ
 « وصوتُ ضمايرنا المُشعبه
 « أجشٌ رهيبُ الرنينِ
 « أتيناكَ يا من يذُرُ الشُّهادِ
 « على أعينِ المُذنبينِ
 « على أعينِ الهاربينِ

« إلى أمسيهم ليلوفوا هناك بتل رماد »
 « من الغد ذى الأعين الخضر . يا من تراه »
 « صباح مساء يسوق الزمان »
 « يحدق ، عيناه لا تغفوان »
 « وكفاه مطويتان »
 « على ألف سر . أتينا نمرغ هذى الجباه »
 « على أرض معبدته في خشوع »
 « نناديه ، دون دموع ، »
 « ونصرخ : آه ! »
 « تعيبنا فدعنا ننام »
 « فلا نسمع الصوت يهتف فينا : « صلاه ! » »
 « إذا دقت الساعة الثانيه ، »
 « ولا يطرق الحرّس الكالحون »

« على كل بابٍ بأيديهم الباليه
 « وقد أكلتها القُرونُ
 « ولم تُبْقِ منها سوى كومةٍ من عظامٍ
 « تعبنا ... فدعنا ننام ..
 « ننامُ ، وننسى يد الرجل العنكبوتُ
 « على ساعة البرج . تنثُرُ فوق البيوت
 « تعاوِذَ لَعْنَتِهَا الحاقده
 « حنانك بوذا ، على الأعينِ الساهده
 « ودعنها أخيراً تموت .



وفي المتعبِده البرهمي الكبيرُ
 تحركَ بوذا المثيرُ
 وملة ذراعَيْه للشبحَيْنِ

يُبَارِكُ رَأْسَيْهِمَا الْمُتَعَبَيْنِ

وَيَصْرُخُ بِالْحَرَسِ الْأَشْقِيَاءِ

وَبِالرَّجُلِ الْمُتَّصِبِ

عَلَى الْبَرْجِ فِي كِبْرِيَاءٍ :

« أَعْيِدُوهُمَا ! »

ثُمَّ لَفَّ السَّكُونُ الْمَكَانَ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَسَاءُ ،

وَبُودَا ، وَوَجْهَ الزَّمَانِ

خاتمة

ارجعْ فالليل تُثيرُ مخاوفهُ قَلْبِي
وأنا وحدي والنجمُ بعيدٌ في الأفقِ
يخدعُنِي أملٌ في فجرٍ لم ينبثقِ
وصُباةٌ دمعٌ باردةٍ لم تحترقِ

●

ومددتُ يدي فرجعتُ بحفنةٍ ظلماءِ
وسألتُ الليلَ فبُوتَ بيضعةً أصداءِ
أصداءُ مغرقهٌ في سورةٍ لغمساءِ
جاءتُ ترحفُ من أغوار الماضي النائي

●

دربي حاولتُ سُدِّي أن أرفع أستارَه
تَصْخَبُ في عِثْمَتِهِ أَشْبَاحُ ثَرثاره
أنكرت الدربَ كأنْ لم أعرف أحجارَه
يوماً بالأمس ولم أَسْتَكْشِفْ أَسْرارَه



إرجعْ ، أوآه ألا تسمع صوتي الموهون؟
لن أبقى وحدي في هذا الدربِ المجنون
هذا الأفق المستغلق حيث النجوم عيون
حيث الأشجارُ هياكلُ أفكارٍ وظنون



تردد فيه أصواتٌ تُنْذِرُ حَبْثِي
أصواتٌ غادرةٌ تنبج ملءَ الرَّحْسِيبِ
صدقتني وارجعْ أخشى أن تجرحَ قلبي
صدقتني .. إنني أسمعُها تملأُ دربي

في المَعْبَرِ سَعْلَاةٌ ترمُقُ طينى بفُتُورٍ
ووراءَ المُفْتَرِقِ المتشعبِ بعضُ قبورٍ
خذُ يدي ولنتركْ هذا الأفقَ المهجورَ
لا تتركُنِي روحاً صارخةً في الليجرِ

١٩٤٨/٤/١

عوة إلى الحياة

إغضب ، أحبك غاضباً متبرداً
في ثورةٍ مشبوبةٍ وتمزقٍ
أبغضتُ نومَ النارِ فيك فكن لظى
كن عرقَ شوقٍ صارخٍ متحرقٍ



إغضب ، تكاد تموت روحك ، لا تكن
صمتاً أضيعُ عندهُ إعصاري
حسبي رَمادُ الناس ، كن انت اللظى
كن حُرقة الإبلداع في أشعاري

إِغْضَبْ ، كَفَاكَ وَدَاعَةٌ . أَنَا لَا أَحِبُّ الْوَادِعِينَ
 النَّارُ شَرَعَى لَا الْجُمُودُ وَلَا مُهَادَّةُ السِّنِينَ
 إِنِّي ضَجَرْتُ مِنَ الْوَقَارِ وَوَجْهِهِ الْجَهَنَّمَ الرَّصِينُ
 وَصَرَخْتُ لَا كَانَ الرَّمَادُ وَعَاشَ عَاشَ لُظَى الْحَنِينِ
 إِغْضَبْ عَلَى الصَّمْتِ الْمُسْهِينِ
 أَنَا لَا أَحِبُّ السَّاكِنِينَ

•
 إِنِّى أَحْبَبْتُ نَابِضاً ، متحرِّكاً ،
 كالطُّفْلِ ، كالريحِ العنيفةِ كالقَدَرِ
 عطشانَ للمجدِ العظيمِ فلا شذى
 يُرَوِّى رِوَاكَ الظَّامِئَاتِ وَلَا زَهْرَ

•
 الصَّبْرُ ؟ تلكَ فضيلةُ الأمواتِ ، فى



برد المقابرِ تحتَ حكمِ الدودِ
رقدوا وأعطينا الحياةَ حرارةً
نشوى وحرقةَ أعينِ وخدودِ



أنا لأحبكَ واعظاً بل شاعراً قلق النشيدِ
تشدو ولو عطشانَ دامي الخلقِ محترق الوريدِ
لأنى أحبكَ صرخةَ الإعصارِ في الأفقِ المديدِ
وفماً تصبّاه اللهبِ فبات يحترق الجليلِ

أين التحرق والحنين ؟
أنا لا أطيق الراكهين



قطب ، ستمتلك ضاحكاً ، "إن الربا
برد" ودفء لا ربيع خالده
العبقرية ، يا فتى ، كتيبة
والضاحكون رواسب وزوائد



إني أحبك غصة لا ترنوى
يتقنى الوجود وأنت روح عاصف
ضحك جنوني ودمع محرق
ومهلوء قد يس وحس جارف



إني أحبّ تعطّشَ البركان فيكَ إلى انفجارٍ
وتشوّقَ الليل العميق إلى ملاقاتِ النهارِ
وتحرّقَ النبع السخّي إلى معانقةِ الحرّارِ
إني أريدُكَ نهرَ نارٍ ما للجثّةِ قرارُ



فاغضبِ على الموت اللعينِ
إني مكلّلتُ الميتينِ

فهرس

الصفحة

٢٩	أول الطريق
٣٤	أغنية
٣٧	دموة إلى الأحلام
٤٠	الشهيد
٤٥	لمنة الزمن
٥٥	إلى العام الجديد
٦٠	طريق العودة
٦٧	الأعداء
٧١	حصاد المصادفات
٧٦	النائمة في الشارع
٨٠	نرثية امرأة لا قيمة لها
٨٣	الأرض المحببة

٨٩	لغثرق
٩٣	سخرية الرماد
٩٩	صائلة الماضي
١٠٤	إلى أخفى سها
١٠٧	المارزون
١١١	ماذا يقول النهر ؟
١١٥	ثلاث مرث لأى :
١١٧	١ - أغنية للمزن
١٢١	٢ - مقدم المزن
١٢٥	٣ - الزهرة السوداء
١٢٨	يحكى أن حمارين
١٣٣	الزائر الذى لم يجرى
١٣٦	الراقصة المذبوحة
١٤٠	الشخص الثانى
١٤٣	عندما قطت حوى
١٤٦	لحن النسيان
١٥١	كلمات

الصفحة

١٥٥	السم المنهار
١٥٨	غسلا العمار
١٦١	الرحيل
١٦٥	الحبيبة
١٦٩	اسطورة عينين
١٧٣	الوصول
١٧٦	أغنية لشمس الشتاء
١٨٢	يقايا
١٨٧	ساعة الذكرى
١٩١	هل ترجمين ؟
١٩٥	صلاة الأشباح
٢٠٥	خائفة
٢٠٨	دعوة إلى الحياة

للشاعرة

الطبعة الأولى

عاشقة الليل	(شعر)	بغداد — ١٩٤٧
شظايا ورماد	(شعر)	بغداد — ١٩٤٩
قضايا الشعر المعاصر		بيروت — ١٩٦٢
شعر على محمود طه		القاهرة — ١٩٦٥

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمعصرة



Bibliotheca Alexandrina



0685677

الشمس ٢٥ قرشا